الحوارات النظرية في العلاقات الدولية دراسة مقارنة في أطار النظريات المعاصرة

Theoretical dialogues in international relations: a comparative study in the framework of contemporary theories

اسم الباحث: م.د. احمد حسين شحيل

جهة الإنتساب: جامعة بغداد – كلية العلوم السياسية ـ العراق

Author's name: Assistant. Prof. Ammar Hameed Yasin

Affiliation: University of Baghdad - College of Political Science - Iraq

اسم الباحث: أ.م.د. عمار حميد ياسين

جهة الإنتساب: جامعة بغداد – كلية العلوم السياسية ـ العراق

Author's name: Assistant. Prof. Ammar Hameed Yasin

Affiliation: University of Baghdad - College of Political Science - Iraq

اسم الباحث: م.د. باسم غناوي علوان

جهة الإنتساب: جامعة ديالى / كلية القانون والعلوم السياسية ـ العراق

Author's name: Dr.Basim GHanawi Alwan

Affiliation: University of Diyala - College of Political Science - Iraq

Email: Basim_khnawe@uodiyala.edu.iq

نوع العمل العلمي: بحث

مجال العمل: العلوم السياسية - العلاقات الدولية

work type: research paper

discipline: political sciences - international relations

Doi. https://doi.org/10.61279/a1rnew98

رقم العدد وتاريخه: العدد الثامن عشر - تشرين الأول - ٢٠٢٢

تاريخ الاستلام: ١٢ حزيران ٢٠٢٢

تاريخ القبول: ١٦ تموز ٢٠٢٢

تاريخ النشر: ٢٥ تشرين الأول ٢٠٢٢

Issue No. & date: Issue 18 - Oct. 2022

Received: 12 June 2022

Acceptance date: 16 July 2022

Published Online: 25 Oct. 2022

حقوق الطباعة محفوظة لدى مجلة كلية القانون والعلوم السياسية في الجامعة العراقية

حقوق الملكية الفكرية محفوظة للمؤلف

حقوق النشر محفوظة للناشر (كلية القانون والعلوم السياسية - الجامعة العراقية)

نَسب المُصنَّف - غير تجاري - منع الاشتقاق ٤,٠ دولي

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة الحقوق والترخيص

Printing rights are reserved to the Journal of the College of Law and Political Science at Aliraqia University

Intellectual property rights are reserved to the author

Copyright reserved to the publisher (College of Law and Political Science - Aliraqia University)

Attribution – NonCommercial - NoDerivs 4.0 International

For more information, please review the rights and license

CC BY-NC-ND 4.0 DEED

المستخلص

تشكل الحوارات النظرية في العلاقات الدولية مدخلا مهما لمعرفة أبعاد التحولات المعرفية التي طرأت على واقع تفسير جميع التفاعلات السياسية الدولية من جانب، ومن جانب أخر بلورة اطر مفاهيمية ونظرية لدراسات نقدية في أطار النظريات المعاصرة، إي هل يمكن لنظرية واحدة من النظريات المطروحة في مجال العلاقات الدولية أن تفسر طبيعة التفاعلات الدولية في ظل خصوصية البيئة الإستراتيجية وتعقيداتها، ام هل يمكن ان تتخصص كل نظرية في مجال محدد بذاته، وهذا يقودنا إلى القول هل إن العلاقات الدولية علم له نظرية ومفهوم ومنهج محدد أم لا؟ أم إن هناك تحولات معرفية سوف تسهم في بروز نظريات جديدة تنعكس إيجابا على تفسير انساق تفاعلات العلاقات الدولية، لاسيما إذا أدركنا إن العلاقات الدولية تعد علم جديد له نظريات ومفاهيم ومناهج مختلفة، لذلك فان فهم عملية التحول والتغيير في دراسة مجال العلاقات الدولية بالاستناد الى حقائق التغيير في واقع العلاقات الدولية من جهة وتغير في مناهج المعرفة وفلسفتها النظرية– النقدية من جهة أخرى سوف تشكل مداخل مهمة في تطور دراسة مجال العلاقات الدولية في ضوء التطورات والتحولات في نظرية المعرفة ومنهج النظرية وأهدافها الأساسية.

Abstract

Theoretical dialogues in international relations constitute an important entrance to the knowledge of the dimensions of the cognitive transformations that have occurred in the reality of the interpretation of all international political interactions on the one hand, and on the other hand, the development of conceptual and theoretical frameworks for critical studies within the framework of contemporary theories, that is, can one of the theories put forward in the field of international relations To explain the nature of international interactions in light of the privacy and complexities of the strategic environment, or can each theory be specialized in a specific field by itself, and this leads us to say is international relations a science with a specific theory, concept and approach or not? Or are there cognitive shifts that will contribute to the emergence of new theories that will reflect positively on the interpretation of the coordination of international relations interactions

Especially if we realize that international relations is a new science with different theories, concepts and approaches, so understanding the process of transformation and change in the study of the field of international relations based on the facts of change in the reality of international relations on the one hand and a change in knowledge curricula and its theoretical-critical philosophy on the other hand will constitute entrances Important in the development of the study of the field of international relations in the light of developments and transformations in the theory of knowledge, the approach of the theory and its basic objectives.

المقدمة

أهمية البحث

لعل من نافلة القول إن تطور دراسة العلاقات الدولية شأنها بذلك شأن إي مجال علمي مرهون بتطور النظريات والمناهج والمفاهيم المرتبطة بهذا المجال، وبذلك فقد أنشغل الدارسون في هذا الحقل بتتبع تطورها عبر المراحل التاريخية التي مرت بها العلاقات الدولية، وتمكن العلماء من توظيف الأسس والمرتكزات النظرية في فلسفة العلم وإسقاطها على الحقل بهدف التوصل إلى العوامل المحركة والمؤثرة في تطور نظرياته ومفاهيمه، وفي ضوء ذلك أستعار المنظرون مفهوم المنظور ونظرية الثورات العلمية (لتوماس كون) للكشف عن حقائق تطور دراسة العلاقات الدولية، وبغض النظر عن مدى أتفاق هذه النظرية (الثورات العلمية) التي خصصت لدراسة تطور فرع العلوم الطبيعة مع طبيعة العلوم الاجتماعية، فإنها بدت ملائمة لتقريب الفهم حول طبيعة التحولات المعرفية والحوارات النظرية بين منظورات العلاقات الدولية، ويسهم تسليط الضوء على هذه الحوارات فهم عملية التحول والتغيير في دراسة مجال العلاقات الدولية بالاستناد إلى حقائق التغيير في واقع العلاقات والسياسة الدولية من جهة، وتغير في مناهج المعرفة وفلسفتها النظرية من جهة أخرى، وكلا العاملين التغير الواقعي والمعرفي/ النظري شكلا مدخلات مهمة في تطور دراسة مجال العلاقات الدولية، إذ يتيح هذا المدخل النظري ويمهد للتفكير بإمكانية حدوث تبدلا في طبيعة دراسة مجال العلاقات الدولية في ضوء التحولات والمتغيرات الدولية الحاصلة بعد الحرب الباردة، فضلا عن التطور في نظرية المعرفة ومنهج النظرية وغرضها.

المشكلة البحثية تشكل الحوارات النظرية في العلاقات الدولية مدخلا مهما لمعرفة أبعاد التحولات المعرفية التي طرأت على واقع تفسير جميع التفاعلات السياسية الدولية من جانب، ومن جانب أخر بلورة اطر مفاهيمية ونظرية لدراسات نقدية في أطار النظريات المعاصرة، إي هل يمكن لنظرية واحدة من النظريات المطروحة في مجال العلاقات الدولية أن تفسر طبيعة التفاعلات الدولية في ظل خصوصية البيئة الإستراتيجية وتعقيداتها، ام هل يمكن ان تتخصص كل نظرية في مجال محدد بذاته، وهذا يقودنا إلى القول هل إن العلاقات الدولية علم له نظرية ومفهوم ومنهج محدد أم لا؟ أم إن هناك تحولات معرفية سوف تسهم في بروز نظريات جديدة تنعكس إيجابا على تفسير انساق تفاعلات العلاقات الدولية.

الفرضية: تعد العلاقات الدولية علم جديد له نظريات ومفاهيم ومناهج مختلفة، لذلك فان فهم عملية التحول والتغيير في دراسة مجال العلاقات الدولية بالاستناد الى حقائق التغيير في واقع العلاقات الدولية من جهة وتغير في مناهج المعرفة وفلسفتها النظرية- النقدية من جهة أخرى سوف تشكل مداخل مهمة في تطور دراسة مجال العلاقات الدولية في ضوء التطورات والتحولات في نظرية المعرفة ومنهج النظرية وأهدافها الأساسية.

المبحث الأول
طبيعة تطور دراسة العلاقات الدولية

على الرغم من إنّ ظاهرة العلاقات الدولية أو علاقات القوى كما يحبذ هيدلي بول تسميتها لغرض شمول كل العلاقات بين الكيانات السياسية المستقلة موجودة منذ القدم، إلاّ إن دراستها كحقل علمي مستقل لم يظهر إلاّ في بدايات القرن العشرين[١]. إذ يرجع التنظير في العلاقات الدولية إلى الأدبيات السياسية الكلاسيكية. وفي ضوء ذلك، فإنّ نظريات العلاقات الدولية وثيقة الصلة بالنظرية السياسية بما تتضمنه من تنظيرات واقتراحات قدمها الفلاسفة والمفكرين في سياق معالجتهم للقضايا المرتبطة بالعالمية والعلاقات بين الشعوب والدول. ولكن العلاقات الدولية كاختصاص ضمن مجال العلوم السياسية أخذت منحى منفصلا في القرن العشرين. إذ أعلنت استقلالها كنشاط أكاديمي جدير وملائم من النواحي العلمية وساد اعتقاد بأنّ النظرية السياسية بمفهومها التقليدي تمثل مجالا بحثيا متباينا عن مجال العلاقات الدولية[٢].

وفي الواقع، إن نأي منظرو العلاقات الدولية بأنفسهم بعيدا عن الاتجاه السائد للنظرية السياسية بهدف تطوير نظرياتهم ومفاهيمهم الخاصة كان من بين نتائجه حرمان منظري العلاقات الدولية والنظريات الدولية من النظريات ذات الخلفيات الفكرية الغنية التي يمكن أن تحتضن فكرهم، والاعتراف بأن العديد من القضايا العالمية المعاصرة (الضاغطة) في الوقت الراهن هي سياسية وأخلاقية في آن واحد[٣]، وفي ضوء ذلك، نجد إن موقف بعض الدارسين يدعي بأنّ تاريخ نشأة حقل العلاقات الدولية مرتبط بتقاليد الفكر الدولي الموجود في الأدبيات الكلاسيكية أكثر من ارتباطه بالجانب المؤسساتي إي إنشاء أقسام جامعية متخصصة[٤]وعلى الرغم من، إن الإسهامات الفكرية التي تقدم بها المفكرين في موضوع العلاقات الدولية وعلى وجهة الخصوص ما قبل القرن السابع عشر وصفت بحسب أستاذ العلاقات الدولية مارتن ويت بأنها دراسات مبعثرة وغير منهجية وغالبا ما كانت عسيرة الفهم للقارئ العادي إلى جانب أنها في معظمها غير متسقة ويصعب متابعتها[٥] إلّا إنه ابتداء من القرن السابع عشر أخذت تتكاثر الكتابات التي لها ارتباط مباشر بالعلاقات الدولية، وشهدت ازدهارا ضمن ثلاثة موضوعات هي: الدبلوماسية وتوازن القوى والقانون الدولي، وكان الانطباع السائد لدى المنظرين هو أن

(١) بول هيدلي، المجتمع الفوضوي دراسة النظام في السياسة العالمية، ترجمة:(مركز الخليج للأبحاث)، ط٣، دبي، ٢٠٠٦، ص ص ٥٧-٥٨.

(٢) دايفد باوتشر ، النظريات السياسية في العلاقات الدولية ، ترجمة : رائد القاقون، ط١، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت،٢٠١٣، ص ص ٢٥- ٢٦.

(٣) د. محمد احمد علي مفتي، العلاقات الدولية في الفكر السياسي الغربي دراسة تحليلية ، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، العدد ٢ ، المجلد ٢٧،(مصر : جامعة الإسكندرية، ١٩٩٠)، ص ص ١-٢.

(٤) محمد حمشي ، نظريات العلاقات الدولية بين التعددية والهيمنة ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة باتنة ، الجزائر ، ٢٠١٠-٢٠١١ ، ص ١٧.

(٥) جيمس دورتي، وروبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة:(وليد عبد الحي)، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص ٨، كذلك: د. أنور محمد فرج ، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مركز كوردستان للدراسات الإستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٧، ص ٦٠.

هيكل المجتمع الدولي وانقسام العالم إلى دول ذات سيادة هو أمر ضروري وطبيعي ومن الصعب تغييره[٦]، ولكن جرت العادة على إن الاعتراف الرسمي بحقل مستقل للعلاقات الدولية قد حدث عند نهاية الحرب العالمية الأولى، إذ انشأ أول كرسي للعلاقات الدولية في جامعة (ويلز) في العام ١٩١٩. وأعقب ذلك إنشاء كراسٍ أخرى في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ولم تكن العلاقات الدولية تدرس قبل هذا التاريخ بوصفها حقل متخصص، إذ تشارك في موضوع الدراسة الخاصة بها عدد من الحقول الأخرى كالقانون والفلسفة والاقتصاد والسياسة والتاريخ الدبلوماسي[٧].

ولغرض فهم تطور الدراسة في حقل العلاقات الدولية فإنه يتعين التوسط بثلاث مقدمات ضرورية ترتبط بحقل العلاقات الدولية هي :

١. إن دراسة العلاقات الدولية تتأثر بشكل كبير سواء كانت ضمن النظرية السياسة العامة أو كحقل مستقل بتطورات الواقع السياسي المتغيرة، إذ إن تطور حقل العلاقات الدولية، والاختلاف في النظريات والمقاربات إنما يرجع إلى تطور الظاهرة الدولية وإلى تغير وجهات النظر حول فهم الظاهرة الدولية .

٢. استندت دراسة العلاقات الدولية إلى إطار نظري معرفي (نظرية المعرفة أو الابستومولوجيا) تنتمي للعلوم الطبيعية يطلق عليها الوضعية أو الوضعية المنطقية .

وتلتزم الوضعية برؤية موحدة للعلم، واعتماد منهجيات العلوم الطبيعية لشرح العالم الاجتماعي ، وقد هيمنت الوضعية كنظرية للمعرفة (ابستومولوجيا) على النظريات والحوارات في حقل العلاقات الدولية[٨].

وعليه فإن العلاقات الدولية بوصفها فرعا للعلوم الاجتماعية تستند إلى الفلسفة الوضعية بوصفها نظرية للمعرفة (ابستومولوجيا) توجه البحث والدراسة إلى هدف هو تحليل وتفسير الظواهر في العلاقات الدولية، وبذلك خرجت القضايا الأخلاقية والمعيارية من دائرة البحث في حقل العلاقات الدولية أو على الأقل وصِفَت الدراسات والبحوث التي تهتم بهذه القضايا بكونها دراسات غير علمية وهي اقرب إلى الفلسفة منها إلى البحث العلمي .

٣. اختلاف وظيفة النظرية في العلاقات الدولية وفي العلوم الاجتماعية بصورة اعم عن وظيفتها في العلوم الطبيعية، والذي كان من بين نتائجه تعدد نظريات العلاقات الدولية واختلاف وظائفها تبعا للمنظور الذي تنتمي إليه .

ولكن النظرية بوصفها العنصر ألمفتاحي للوصول إلى العلم لا تقوم بالوظيفية نفسها في كل حقول المعرفة بشكل متشابه، إذ يختلف دور النظرية في العلوم الاجتماعية بصورة عامة وفي العلاقات الدولية بوجه خاص، عن دورها في العلوم الطبيعية (العلوم الصرفة). ويعزى ذلك لاختلاف طبيعة الظواهر والمواضيع المدروسة بين العلوم

(٦) د. أنور محمد فرج ، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية ،مصدر سبق ذكره ، ص٦١.

(7) Scott Burchill and Andrew Link later ,Theories of international relations, Third edition, New York: Palgrave Macmillan, 2005 p.6.

(8) Steven Smith, Ken Booth And Maraysia Zalewski (Ed.), International theory:positivism and beyond, Cambridge university press, U.K, 2008,p.11.

الطبيعية والاجتماعية[٩]. فالعلوم الطبيعية تمتلك مجالا أوسع وبيئة أكثر خصوبة من العلوم الاجتماعية لتوليد النظريات، لان العلم الطبيعي يتميز بأربع خصائص مجتمعة تؤهله لذلك هي: استخدام المنهج التجريبي (الاستقرائي)، واقتصار موضوع دراسته على الظواهر الطبيعية الجزئية؛ لان الملاحظة الحسية لا تتناول ما وراء الجزئي المحسوس، وتوصل دراساته التجريبية إلى إصدار أحكام وصفية (قوانين) تكشف عن العلاقة المطردة التي تربط بين الظواهر بعضها والبعض الآخر، وأخيرا التعبير عن نتائج دراساته برموز رياضية (تحويل الكيفيات إلى كميات) تحقيقا للدقة والضبط، وإن هذه الخصائص أساسها الحتمية التي تبرر أن يتنبأ العالم بوقوع الظواهر الطبيعية مقدما[١٠]. ويرجع ذلك إلى إن مادة البحث في العلوم الطبيعية هي الأشياء التي يغلب عليها الاستقرار والسكون النسبي ما يسهل من عملية بحثها وإخضاعها للملاحظة والتجربة والتدقيق والتنبؤ المستقبلي، في حين إن مادة الدراسة وموضوع البحث في العلوم الاجتماعية هو الإنسان والعلاقات الإنسانية المتشابكة والمعقدة التي لا تخضع للملاحظة الدقيقة ولا للبحث التجريبي الصارم[١١].

ولكن تبقى الانجازات التي حققتها العلوم الاجتماعية مقتصرة على المرحلة الوصفية للعلم دونا عن المرحلة التفسيرية، ولا ينقص ذلك من السمة العلمية للعلوم الاجتماعية أو يدفع إلى إخراجها من دائرة العلم، فالوصف يطابق الاكتشاف لأنه عملية تعين واختبار علاقات أكثر أو اقل عمومية بين خواص الظاهرة موضوع البحث[١٢]، والوصف هو اكتشاف لأن تلك العلاقة غير معروفة قبل البحث الذي يكشف عنها، ومن هنا فإنّ عالم الاجتماع الأمريكي (جورج كاسبر هومانز) يستعمل مصطلح الاكتشاف بدلا من الوصف للتأكيد على إن الاكتشاف هو معيار وجود العلم أو إمكانيته أصلا، ولكن التفسير هو معيار درجة نجاحه أو تقدمه، إذ يتجاوز التفسير الوصف فيستعين به ويضيف إليه القوانين والنظريات[١٣].

ويمكن القول إن مشكلة العلوم الاجتماعية ومنطق تخلفها النسبي عن العلوم الطبيعية يتحدد فقط بعجزها عن بلوغ المرحلة التفسيرية، أو بالأدق اضطراب محاولاتها التفسيرية وافتقارها للتقنين المنطقي، فبينما تتكامل التفسيرات في العلوم الطبيعية نجد التفسيرات في العلوم الإنسانية تتنازع وتتناقض وقد تبلغ حد التضاد الصريح وتعجز التفسيرات المطروحة في العلوم الإنسانية عن التكامل؛ لأنها تفتقر إلى الخصائص المنطقية الدقيقة. وكما أشار (هومانز) ليس ثمة كلمة تستخدم في العلوم الإنسانية أضخم واجل من كلمة (النظرية)، ولكن نادرا ما يسألون أنفسهم ما هي النظرية وان كل شيء

(٩) د. توفيق الطويل ، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٣٤.
(١٠) المصدر نفسه، ص ص ١٣٤-١٣٥.
(١١) د. أنور محمد فرج ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨، كذلك ينظر : د. يمنى طريف الخولي ، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٩٩٠،ص ص ٨٩ – ٩٠.
(١٢) للمزيد حول الاتجاه الذي يتبنى عدم علمية العلوم الاجتماعية وعلم السياسة بصور خاصة وأسباب ذلك ، ينظر : د. نصر محمد عارف ، ابستمولوجيا السياسة المقارنة: النموذج المعرفي النظرية والمنهج، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢ ، ص ص ٤٨- ٤٩.
(١٣) د. يمنى طريف الخولي ، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

ليس تفسيرا لا يستحق اسم نظرية(١٤).

وفي ضوء ذلك وعلى الرغم من كل محاولات اللحاق في العلوم الطبيعية، فإنه لا يمكن الحديث عن تطابق النظرية في مجالي العلوم الطبيعية والاجتماعية، إذ ان وظيفة النظرية في العلوم الاجتماعية تختلف عن وظيفتها في العلوم الطبيعية، ففي العلوم الطبيعية تعمل النظرية على الكشف العلمي إي وصف الظاهرة وتحليلها وتفسيرها ووضع القوانين للسيطرة على الظاهرة والتنبؤ بمستقبلها، بينما النظرية في العلوم الاجتماعية وبالتحديد في دراسة حقل العلاقات الدولية تبدو على نحو أكثر عمومية وغموض، وقد أضفت الاختلافات في المعاني المستخدمة حول معنى النظرية غياب التحديد الدقيق لمفهومها ووظائفها، وأصبحت بحسب قول عالم الاجتماعي الأمريكي (روبرت ميرتون) : كلمة (نظرية) مهددة بأن تصبح بلا معنى» ومما يزيد في غموض معنى النظرية في العلاقات الدولية هو إنها كانت موضوعا للنقاش في إطار ما يعرف بـ(الحوارات الكبرى) في العلاقات الدولية(١٥)، إذ يبرز من خلال مراجعة معنى النظرية عند علماء العلاقات الدولية عدم الاتفاق على تعريفها وتحديد وظائفها. لذلك إن اختلاف وظيفة النظرية في حقل العلاقات الدولية عن النظرية في العلوم الطبيعية كانت من بين نتائجه تعدد الرؤى والتصورات للعلاقات الدولية(١٦).

ولقد استخدم معظم دارسي العلاقات الدولية مفهوم المنظور(١٧)*، لتصنيف الدراسات الأكاديمية استنادا إلى معيارين: أحدهما موضوعي ومحوره الافتراضات الأساسية حول الطريقة التي يتم بها هيكله العالم. والآخر منهاجي ومحوره أساليب إدارة البحث والتحليل(١٨).

وقد أستعار منظرو العلاقات الدولية مفهوم المنظور والجدل النظري بين المنظورات لوصف التطور العلمي في حقل العلاقات الدولية بالاستناد إلى نظرية (الثورات العلمية) لـ (توماس كون) والتي قدمت شرحا متقدما لكيفية حصول التطور العلمي والمعرفي، فبدلا عن النظريات التقليدية القائلة بتطور العلم عبر تراكم المعرفة، ذهب توماس كون إلى إن إي علم يمر بمرحلتين أساسيتين: مرحلة العلم السوي أو العادي التي يهيمن فيها منظور (نموذج معرفي) معين عن الحقل الدراسي ويصبح بمثابة التقليد البحثي السائد بين مجموع المشتغلين بهذا العلم، إذ يحدد لهم الرؤية أو وجهة النظر، والأسئلة والمشكلات

(١٤) المصدر نفسه ، ص ص ٧٤- ٧٥.

(15) Tim Dunne, Lene Hansen and Colin Wight, The End of International Relations Theory? European Journal of International Relations, Vol .3) ,19), (UK: SAGE, 2013), p.406.

(16) Ibid, p.406.

(١٧) (*) يترجم مصطلح الـ(Paradigm) إلى (النموذج المعرفي) أو (المنظور) ، ويعتمد الباحث على الترجمة الثانية (أي المنظور) كون الترجمة الأولى (إي النموذج المعرفي) تتضمن معنى ودلالة ترتبط بالأسس المعرفية ، في حين أن مصطلح المنظور يشير في معناه إلى رؤية للواقع الموضوعي من جهة معينة ،ولابد لهذه الرؤية – بطبيعة الحال – أن تستبطن أسس معرفية محددة. ينظر، د. نادية محمود مصطفى، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد ، ص١ بحث منشور بتاريخ ٣/ آذار / ٢٠١٣ في موقع مركز الحضارة في شبكة الانترنت على الرابط التالي: **:http://hadaracenter.com, 2019/12/10**

(١٨) جدير بالذكر إن هناك عدة مصطلحات يستخدمها الدارسون للدلالة على هذه الرؤية ، إذ تسمى إطارا مرجعيا مشتركا أو مدرسة فكرية ، أو نظاما عقائديا ، أو منظورا ، ينظر : د. نادية محمود مصطفى، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة االى منظور جديد، مصدر سبق ذكره، ص ص ١-٢.

المطروحة، والقوانين والنظريات والمفاهيم، والمناهج والأساليب المتبعة في البحث.. الخ، ومرحلة العلم غير السوي أو مرحلة الأزمة، إي يدخل المنظور السائد في حالة عدم القدرة والكفاية على تفسير ما يستجد من ظواهر، ومن ثم تبرز الحاجة الملحة إلى نموذج جديد يستطيع تفسير الظواهر الجديدة في إطار العلاقات الدولية(١٩).

إذن يرى كثير من علماء العلاقات الدولية إن مجال العلاقات الدولية قد مر بمراحل متعددة شهدت كل مرحلة منها هيمنة لمنظور معين، وبذلك عادة ما تصف الأدبيات النظرية في العلاقات الدولية التطور التاريخي للحقل بأنه سلسلة من تعاقب المنظورات النماذج المعرفية التي شكلت ما يسمى بالحوارات أو النقاشات الكبرى، وهكذا فإنّ تطور دراسة العلاقات الدولية يمكن تتبعه عن طريق تتبع الجدل والنقاش النظري الذي جرى بين هذه المنظورات ذات الأبعاد المعرفية المختلفة.

وفي ضوء ذلك يصبح من الملائم استعارة مفهوم المنظور لتتبع تطور دراسة العلاقات الدولية، فلا يمكن الحديث عن نظرية واحدة للعلاقات الدولية، وكذلك لا يمكن القول بوجود منظور أو نموذج معرفي واحد، و تشير دراسة العلاقات الدولية إلى تطور الحوارات النظرية بين هذه المنظورات، ومع إن كل واحد منها قد اكتسب أهمية وشهرة في مرحلة تاريخية محدد، إلا إن ذلك لا يعني إن المنظور السابق سيتم إلغاءه تماما ،لأن الفصل الجازم بين نموذج وآخر عبر التصنيف المرحلي، ما هو إلا عمل تحكمي لا يمكن تعيينه في الواقع العلمي زمانيا، لأن التحول من نموذج لآخر لا يتم بصورة فجائية وكاملة، وإنما عادة ما يولد النموذج التالي في رحم السابق ويظل ينمو حتى يخلفه عندما تشتد الانتقادات وتظهر أوجه القصور في النموذج القائم ونظرياته، ومن متابعة التطور في حقائق وموضوعات العلاقات الدولية كظاهرة، والتطور في طرق إدراكها وأساليب البحث والتحليل أي التطور في المنظورات التي تعاقبت على دراستها يلاحظ أن هناك ارتباط بين التطور في الجانبين؛ ذلك لأن المنظور السائد في كل مرحلة يكون انعكاسا لطبيعة وحقائق وسمات هذه المرحلة، ولهذا فإن متابعة التطور في المنظورات التي تعاقبت على دراسة العلاقات الدولية يساعد على فهم الكثير من أبعاد التطور في مسارات مجال العلاقات الدولية(٢٠).

وخلاصة ما تقدم، إن دراسة العلاقات الدولية تأثرت بشكل كبير في الواقع الدولي المتغير من جهة، وتطور نظرية المعرفة المؤثرة بشكل كبير في طبيعة البحث العلمي، وكيفية الوصول إلى المعرفة العلمية وتحديد دور ووظيفة النظرية في حقل العلاقات الدولية من جهة أخرى. كما إن طبيعة الدراسة العلمية للظاهرة الدولية كانت قد اقترنت بمحاولة العلوم الاجتماعية بصورة عامة اللحاق بما تحقق من تطور في العلوم الصرفة، وهو ما دفع العلماء وفلاسفة العلم على التأكيد على الأخذ بالوضعية المنطقية كنظرية للمعرفة. وفي ضوء ذلك فقد اعتمدت العلاقات الدولية كحقل أكاديمي على مناهج التجريب والتحليل الإحصائي والرياضي، ومع ذلك فقد ظلت النظرية في العلاقات الدولية تعاني

(١٩) توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة:(شوقي جلال)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢، ص ص٥٣-٥٤.

(٢٠) نادية محمود مصطفى، مصدر سبق ذكره، ص ص ١-٢.

من نقص في التفسير، كما إن هذه المناهج أدت إلى استبعاد القضايا الأخلاقية والمعيارية عن دراسة العلاقات الدولية، على الرغم من إنّها وثيقة الصلة بالعالم الاجتماعي وإن كانت عصية على التجريب والاختبار.

المبحث الثاني
الحوارات النظرية في دراسة العلاقات الدولية (النظريات الوضعية)

يرى الباحثون في العلاقات الدولية إن العمل الأكاديمي حول طبيعة العلاقات الدولية وطرق دراستها سيطرت عليه جدالات وحوارات متعددة دارت بين منظورات أو نماذج معرفية مختلفة يمكن تقسيمها الى خمس حوارات نظرية هي : الحوار بين المثالية والواقعية، والحوار بين التقليدية والسلوكية، والحوار بين الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة، والحوار بين الوضعية وما بعد الوضعية أو ما بين النظريات العقلانية والنظريات التأملية، والحوار بين المقاربات اللاخطية ضد المقاربات الخطية[٢١]. بينما يذهب بعض دارسي العلاقات الدولية إلى تقسيم ثلاثي لهذه الحوارات باستبعاد الحوار الرابع (بين الوضعية وما بعد الوضعية) بوصفه حوارا حول نظرية المعرفة (الابستيمولوجيا)[٢٢]* وليس حوارا خاصا بدراسة العلاقات الدولية، و يعتقد هؤلاء إن الحوارات النظرية قد توقفت أو استقرت عند مستوى الحوار الثالث (بين الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة)، ويمر حقل العلاقات الدولية الآن بمرحلة اختبار النظرية[٢٣]. أو كما يصطلح عليها (توماس كون) بمرحلة العلم القياسي أو العلم العادي والذي ألفه المجتمع العلمي (العلماء والباحثون)[٢٤]، ويؤكد هؤلاء على إن حقل العلاقات الدولية استقر في مرحلة سلام نظري مع المنطق السائد الآن المتمثل في النظر في أشكال التعددية النظرية ويدل على ذلك أمران هما: أولاً هو: التناقص في الأدبيات التي تتعرض للحوار مابين منظورات العلاقات الدولية ، ثانياً، هو إن انخراط الدارسون في تطوير النظرية في العلاقات الدولية أصبح نادرا[٢٥].

ويبدو ان الحوار الرابع يمثل حوارا مهما لدراسة العلاقات الدولية لارتباطه بالبحث عن أسس التفكير التي لها تأثير كبير في نظرتنا إلى العالم وتحديد موقف ووظيفة الدراسة العلمية .

إن دراسة العلاقات الدولية تمر بمرحلة هدأت فيها السجالات النظرية بين المدارس والمنظورات إلا إن هذا الهدوء ليس مرده الوصول إلى (العلم العادي) . وإنما يعود بدرجة كبير إلى إن المعطيات التي تتشكل منها الظواهر الدولية بدأت تتغير ولم يعد بالإمكان ملاحقة هذه التغييرات بالأسس نفسها المعرفية السابقة (الوضعية) التي تبنى عليها النظريات وتتفق عليها المنظورات السابقة باستثناء المثالية. فهناك حاجة إلى

(٢١) بيتر ستش ، جوانيتا إلياس، أساسيات العلاقات الدولية، ترجمة:(محيي الدين حميدي)، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٦، ص ٨.

(٢٢) * الابستمولوجيا، نظرية المعرفة، كيف نحصل على المعرفة حول العالم.

(23) Tim Dunne, Lene Hansen And Colin Wight ,The End Of International Relations Theory? European Journal Of International Relations, Vol .3)19), UK, 2013, p. 406.

(٢٤) يراد بالعلم القياسي أو العادي عند (توماس كون) العلم الملتزم بحدود إطار معرفي إرشادي معترف به بين الباحثين في مجال أو مجال علمي بذاته ،و يعد أي خروج عن هذا الإطار نشوزا يفضي تكراره إلى بداية لأزمة يواجهها المنظور أو النموذج المعرفي تنتهي بتحول ثوري في هذا النموذج ، للمزيد ينظر : توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة:(شوقي جلال)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢،ص ٥٣.

(25) Tim Dunne, Lene Hansen and Colin Wight ,Op.Cit, p. 406.

إطار معرفي جديد يتناسب مع التحولات العالمية الجديدة، ويتلاءم مع تصاعد ما بعد الوضعية كنظرية للمعرفة (ابستمولوجيا) باتت تؤثر على المناهج العلمية في العلوم الطبيعية والاجتماعية. وعليه يمكننا القول بان المرحلة الراهنة التي يمر بها حقل العلاقات الدولية ليست مرحلة (العلم العادي)، بل على العكس هي مرحلة الأزمة التي تشكل بداية للثورات العلمية، إذ أصبح من الواضح بان المنظورات التقليدية أصبحت تواجه انتقادات وتحديات كبيرة من قبل نظريات ما بعد السيادة وما بعد الدولة.

إن مراجعة الحوارات النظرية تقدم تصورا نافعا عن تطور الدراسة في حقل العلاقات الدولية ، لذا سنحاول بحث هذه الحوارات النظرية وفق السياق الآتي:

الحوار الأول : (الحوار الانطولوجي)[٢٦]* :الواقعية ضد المثالية :

لقد وجد قادة العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أنفسهم أمام معضلة كبيرة تتجسد بسؤال مهم هو: كيف للعالم أن يتخلص من العنف والحروب بين الدول ؟ وقد جاءت الإجابات باتجاهين أساسيين الأول هو: الاتجاه المثالي والذي رأى بأن المعضلة الأمنية في العلاقات الدولية يمكن التعامل معها من خلال تأسيس منظمة دولية تساعد الدول على بناء نظام أمن جماعي، والالتزام بقواعد القانون الدولي، وقد وصف هذا التيار بالتيار المثالي؛ لأنه ينطلق من الدعوات الهادفة إلى تأسيس علاقات دولية مبنية على المثالية[٢٧]*، ويبدو ان أن هذا التيار سيطر على مدة ما بعد الحرب العالمية الأولى وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبناء على هذه الرؤية أوجدت عصبة الأمم لتكون نواة نظام دولي أساسه الشرعية الدولية والأمن الجماعي[٢٨]، ويتحدد هدف النظريات في البارادیغم المثالي (الليبرالي) بتغيير العالم للأحسن والقضاء على الحرب في العلاقات الدولية[٢٩]. ، بمعنى آخر إن المثالية تبنت الوظيفة المعيارية للنظرية ، فلا تبحث في الوقائع عن ما هو موجود وكيف وجدت هذه الأحداث كما هو شأن النظريات التجريبية وإنّما تبحث في ما ينبغي أن تكون عليه الأحداث والوقائع، وذلك عبر وضع معايير ومؤسسات على أساسها يتم الحكم على الأحداث الدولية، ويتم تنظيم وإدارة الشئون الدولية[٣٠].

وقد عاودت افتراضات المثالية[٣١]* للظهور مجددا عقب انتهاء الحرب الباردة

(٢٦) * الانطولوجيا، نظرية الوجود، ممن يتكون العالم؟ وما المواضيع التي يجب أن ندرسها؟

(٢٧) * كانت المدرسة المثالية تدعوا إلى إقامة نظام دولي جديد يزيل الصراع ويمنع الحرب بعد أن عانى العالم من آثار وويلات الحرب العالمية الأولى ومن مشاكل توازن القوى. وكان المثاليون مدفوعين بالرغبة في إيجاد مجموعة من المؤسسات والإجراءات والممارسات التي يمكنها من القضاء على الحرب في النظام الدولي، وكانوا مؤمنين بصدق بأنه لابد من وجود طريق أفضل لتنظيم الشؤون الدولية بدلا من الصراع والحرب وتوازن القوى التي جلبت أثارا مدمرة للعالم. أما أنصار النظرية الواقعية وجدوا بأن السياسة الدولية تقوم على القوة والصراع وان القوة مسالة غريزية ومتأصلة في النفس البشرية. ينظر تيم دان وميليا كوركي وستيف سميث، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦.

(٢٨) د. خالد موسى المصري، مدخل إلى نظرية العلاقات الدولية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٤، ص ٤١.

(29) Scott Burchill and Andrew Link later ,Op.Cit,p.9.

(٣٠) خالد موسى المصري، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

(٣١) * كانت المدرسة المثالية تدعوا إلى إقامة نظام دولي جديد يزيل الصراع ويمنع الحرب بعد أن عانى العالم من اثار وويلات الحرب العالمية الأولى، ومن مشاكل توازن القوى. وكان المثاليون مدفوعين بالرغبة في إيجاد مجموعة من=

وشكلت اتجاها مميزا يطالب بإصلاح المؤسسات العالمية وتطبيق القانون الدولي وتفعيل وإصلاح منظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها، لاسيما بعد أن أصبحت الكثير من القضايا و مضامين السياسة العالمية تتخذ أبعادا أخلاقية ومعيارية إلى الحد الذي يمكن القول معه إن المثالية لم تعد مثالية غير واقعية كما كانت تفهم سابقا(٣٢).

وفي مواجهة المثالية ظهر الاتجاه الثاني في هذا الجدل الفكري متمثلا برواج الآراء الواقعية التي تدعو إلى دراسة العلاقات كما هي على أرض الواقع لا كما يجب أن تكون عليه، وينطلق أنصار الواقعية من افتراض مفاده: إن الدول تتصرف حسب المصلحة الوطنية وتحاول أن تزيد قوتها النسبية مقارنة بالدول الأخرى(٣٣).

بذلك دخلت المثالية والواقعية بعد الحرب العالمية الأولى في حوار وجدال حول أفضليتها في فهم وتفسير الواقع الدولي الجديد من جهة، ومناقشة موضوع الحرب واحتمالات تكرارها والسبل الكفيلة لمنع حدوثها من جهة أخرى، و سميت تلك الحوارات والنقاشات بين المنظورين بـ (الحوار الأول) في مجال نظريات العلاقات الدولية واستمرت هذه الحوارات فترة طويلة بين الحربين امتدت كما يقول (ادوارد هاليت كار) لمدة ثلاثين عاما من (١٩١٩-١٩٣٩) ولم تحسمها إلاّ قيام الحرب العالمية الثانية التي أيدت أفضلية فرضيات النظرية الواقعية في تفسير ذلك الواقع(٣٤)، وقد كان لصدور كتاب (ادوارد هاليت كار) البريطاني تحت عنوان أزمة العشرين عاما ١٩١٩-١٩٣٩ في العام ١٩٣٩ الأثر الواضح في ظهور المدرسة الواقعية، اذ تصدى فيه بالنقد لأفكار المدرسة المثالية. وهذا ما فعله أيضا هانز مورجنثاو الأمريكي الجنسية والألماني الأصل بعد الحرب العالمية الثانية لاسيما في كتابه(السياسة بين الامم). فقد انتقد مورجنثاو بشدة المثالية في اندفاعها وتفاؤلها المفرط بشان نظام دولي يرتكز على القيم الأخلاقية(٣٥)، إذ أصبح المنظور الواقعي كما وصفه ادوارد هاليت كار(٣٦)* بمثابة نظرية للممارسة ونظرية تبحث عن القوانين الموضوعية للسياسة الدولية ، وليس نظرية لخلق الممارسة كما كانت المثالية تدعو اليه(٣٧)، أما هانز مورجنثاو الذي شكلت أطروحاته الفكرية إلى

=المؤسسات والإجراءات والممارسات التي يمكنها من القضاء على الحرب في النظام الدولي، وكانوا مدفوعين بصدق بأنه لابد من وجود طريق أفضل لتنظيم الشؤون الدولية بدلاً من الصراع والحرب وتوازن القوى التي جلبت أثاراً مدمرة على العالم. أما أنصار النظرية الواقعية وجدوا بأن السياسة الدولية تقوم على القوة والصراع، وان القوة مسألة غريزية ومتأصلة في النفس البشرية. ينظر، تيم دن وميليا كوركي وستيف سميث، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٣٣) د. خالد موسى المصري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢.

(٣٤) د. أنور محمد فرج، مصدر سبق ذكره،ص٦، كذلك ينظر:بيتر سيتش وجوانيتا الياس، مصدر سبق ذكره، ص ٨-٩.

(٣٥) زايد عبيد الله مصباح، السياسة الخارجية، منشورات ELGA، مالطا، ١٩٩٤، ص ص ٢٠-٢١.

(٣٦) * لقد انتقد المذهبين الواقعي والمثالي على أساس إن الأول ينظر إلى التاريخ نظرة متشائمة في الوقت الذي يتجاهل الثاني الدروس المستفادة من التاريخ ذاته، ففي الوقت الذي يبالغ فيه المثاليون بحرية الاختيار لصانع القرار يبالغ خصومهم في التأكيد على الضرورة السببية، فضلا عن المثاليون يخلطون بين المصالح الذاتية القومية والمبادئ الأخلاقية العالمية في الوقت الذي يؤطر الواقعيون أنفسهم في إطار غلبة المصالح الذاتية بصرف النظر عن الأفعال والتصرفات ذات الجانب المثالي، ينظر، جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة:(وليد عبد الحي)، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص ١١.

(٣٧) بيتر سيتش وجوانيتا الياس، مصدر سبق ذكره، ص٩، وكذلك ينظر:

Tim Dunne And C. Schmidt,Op.Cit, pp. 164-161.

حد ما توليفة من أطروحات ثيوسيديس وهوبز، اذ جادل بأن العلاقات السياسية محكومة بقواعد موضوعية متجذرة بعمق في الطبيعة البشرية[٣٨]، لاسيما ان مورجنثاو يرجع أسباب السلوك النزاعي لدى الدول إلى الطبيعة البشرية التي تحكمها غريزة التطلع للقوة وحب السيطرة والهيمنة، إذ تزداد هذه الطبيعة العدوانية عندما تنتقل من مستوى الفرد إلى مستوى الدولة، نتيجة قدرة الأخيرة على تعبئة إمكانياتها ومواردها المادية لإيذاء الدول الأخرى[٣٩]. وبذلك اكتسبت العلاقة بين نظرية الواقعية والعلاقات الدولية متانة وتماسكا منذ بداية ظهور العلاقات الدولية كحقل أكاديمي مستقل، ورسخت تلك العلاقة في مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية، واستمرت هيمنة الواقعية على فرضيات ومنطلقات البحث في نظريات العلاقات الدولية أثناء الحرب الباردة و بشكل كبير[٤٠].

وترتكز الواقعية على المنهج التجريبي الذي يجعل من الوظيفة (التفسيرية) هدفا للنظرية، إذ تقوم النظرية بشرح العلاقات الدولية باستخدام منهجية علمية صارمة و دقيقة تستعمل التجربة و التحقق من الفرضيات و تؤمن بوجود واقع قابل للاكتشاف و المعرفة[٤١]، وتعتمد النظرية لتفسير الأحداث والظواهر الدولية عن طريق الربط بين الأحداث وبين المتغيرات لإعطاء تفسير سببي حول لماذا تحدث الوقائع ؟ ولذلك ليس هناك نظرية صحيحة مطلقا؛ لأنها محل اختبار مستمر على الواقع، ولذا فإن البحث عن النظريات الأحسن هي النظريات التي تفسر الوقائع بدقة، أو تشمل في تفسيرها مجموعة أوسع من المفاهيم والمقولات حول الوقائع[٤٢].

إن المساهمة الأكثر ديمومة للمثاليين في تطوير حقل العلاقات الدولية كانت فكرة التخصص الأكاديمي الذي انشأ دراسة السياسة الدولية، إذ رأى المثاليون إن الجهل وعدم التفاهم كان مصدرين أساسيين للصراع الدولي، لذا انطلق المثاليون من مبدأ أساس مفاده: إن التقدم لن يكون ممكنا إلا إذا تمكنا من تطوير العقل وتوظيفه للتحكم في الرغبات غير العقلانية وحالة الضعف الكامنة في النفس البشرية؛ لان ذروة العقل البشري تصب في مصلحة التحكم الفعال بالعلم[٤٣]، لكن نقد الواقعيون هذا الطرح وشككوا في مدى علمية المعرفة التي أنتجها المثاليون وقاموا بالتحديد بتحدي المقاربة المثالية غير النظامية والمستهدفة تعزيز القيم في تخصص العلاقات الدولية، واستندوا في بناء مقاربتهم النظرية وفق فكرة مفادها: كيفية الابتعاد عن محاولة بناء قوانين حدية كما هو الحال في مجال العلوم الطبيعية وقام كل من ادوارد هاليت كار، وهانز مورجنثاو باتهام المثاليون بتركيزهم

(٣٨) جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

(٣٩) هانز مورجنثاو، السياسة بين الأمم: الصراع من اجل السلطان والسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، بلا١٩٦٠، ص ٧٥-٧٦.

(٤٠) د. أنور محمد فرج ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧، كذلك ينظر :

Stephen M.Walt International relations one world many theories, foreign policy, No.111,special edition, spring 1998. p.31.

(41) Scott Burchill and Andrew Linklater ,Op.Cit,p.15

(٤٢) د. عبد العالي عبد القادر، مصدر سبق ذكره ، ص ٦.

(٤٣) احمد قاسم حسين، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، سياسات عربية، العدد(٢٠)، ايار، لبنان، ٢٠١٦، ص ١٢٥. وكذلك ينظر: تيم دن، ميلياكوركي، ستيف سميث، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، ترجمة:(ديما خضر)، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٦، ص ٧٦-٧٧.

على العالم وما ينبغي ان يكون عليه مقارنة بالتعامل مع العالم كما هو موضوعا[٤٤]، فضلا عن إن المثاليون ركزوا على المبادئ المجردة بدلا من الحقائق الواقعية مما أدى إلى عدم القدرة على فهم وتفسير الأحداث الدولية والسيطرة على انساق تفاعلاتها الثانوية والأساسية في إطار النظام الدولي هذا من جانب، ومن جانب أخر نجد إن المثاليون فشلوا في إدراك إن الأسباب الرئيسة لسلوك الدول تدور حول اعتبارات القوة والمصلحة القومية بدلا من الأخلاق والشرعية العالمية، وبطبيعة الحال هذه الانتقادات ساهمت بشكل أساسي في إبراز هيمنة الواقعية في إدارة العلاقات الدولية[٤٥].

وعلى ما يبدو إن هذه النظريات تحاول محاكاة العلوم الطبيعية في منهجها وفي ارتكازها على أُسس الفلسفة الوضعية كمنطق للمعرفة العلمية، ويظهر ذلك بوضوح لدى المنظرين الواقعيين، فضلا عن تطبيقاته في المنهج السلوكي على نظريات السياسية الخارجية والعلاقات الدولية .

وبالاستناد إلى مفاهيم الصراع والقوة و واقع التجربة التاريخية في العلاقات الدولية التي شكلت مصدرا مهما في افتراضات الواقعية التقليدية ، فإن الواقعية كانت ترفض فكرة المثالية في قدرتها على إيجاد مؤسسات للتعاون الدولي وتحقيق النظام الدولي، بعبارة أخرى ترفض وجود مؤسسات للحكم على المستوى الدولي، وبدلا من ذلك ظلت تعتمد على نظريات القوة والهيمنة كأساس للتحكم في تفاعلات السياسة الدولية وإدارة النظام الدولي. وهكذا فان المدرسة الواقعية هي محافظة ومتشائمة لا ترى إمكانية تحقيق نظام دولي ينعم باستقرار وسلم دائمين بل فقط فترات مؤقتة من السلم قد تطول او تقصر ولكنها تقوم أساسا على فكرة توازن القوى[٤٦].

الحوار الثاني :الحوار المنهجي: السلوكية في مواجهة التقليدية :

تركز الحوار الثاني على منهجية دراسة العلاقات الدولية وقد برز منهجان في هذا المجال الأول، كان يرى بأن بناء النظرية و فهم وتفسير العلاقات الدولية يجب أن يتم من خلال دراسة التاريخ الدبلوماسي والقانون الدولي والفلسفة السياسية وهو ما عرف بالاتجاه التقليدي، وابرز من مثل هذا المنهج كتابات أستاذ العلاقات الدولية (هيدلي بول)[٤٧]. اما الثاني مع انتشار الثورة السلوكية في العلوم الاجتماعية ومحاولتها تطوير مناهج هذه العلوم أسوة بنظيراتها في مجال العلوم التطبيقية والطبيعية ظهر الاتجاه السلوكي في دراسة العلاقات الدولية، ويركز هذا الاتجاه على دور المناهج المعاصرة والوسائل والأدوات الرياضية والكمية في بناء النظرية وتفسير العلاقات الدولية[٤٨]. فبالنسبة لعلماء

(٤٤) احمد قاسم حسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥.

(45) E.H. Carr, The twenty years Crisis: An Introduction to the study of international relations, London, 25 march 1964, pp. 12-11.

(٤٦) زايد عبيد الله مصباح،مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(٤٧) د. خالد موسى المصري، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢، كذلك :

Brian C. Schmidt , On The History and Historiography Of International Relations, In :Thomas Risse And Beth Bimmons ,Handbook Of International Relations ,1st Edition ,(London ,Sage Publication , 2002), p.14.

(٤٨) د. أنور محمد فرج ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧.

العلاقات الدولية العاملين ضمن هذا الاتجاه فإن دراسة العلاقات الدولية يمكن أن تكون دراسة علمية كأي حقل علمي آخر؛ لأن سلوك(٤٩)* الدول يتم وفق نماذج وأنماط تتكرر بانتظام ضمن شروط معينة، وإنّه يمكن الكشف عن الأسباب التي تؤدي إلى هذا التكرار في السلوك باستخدام الطرق العلمية في البحث والتي تقوم على الملاحظة والأسلوب التجريبي(٥٠).

وبهذا الخصوص يرى ميشيل سوليفان بان تفسيرا للسلوك السياسي الدولي يقوم على سلوك الإنسان نفسه، وهناك عدة مناهج تربط سلوك الإنسان بالنظام الدولي ويمكن توصيفها بما يلي(٥١):

أولا: الغريزة: وتعني بان تفسير سلوك الإنسان على المستوى الدولي يأتي من منظور فطري.

ثانياً: الصور: هناك علاقة خاصة بين الصور والسلوك يعبر عنها في صورة المرآة، إذ تتغير في مداها وشدتها خلال مدة الأزمات والحروب.

ثالثا: نظام القيم: يعمل نظام القيم كموجه أو عنصر تغلغل لكل الإفراد، ولكل فئة سياسية نظام قيمها الخاص

رابعا: دور الشخصية: تلعب الشخصية دوراً في التأثير على السلوك السياسي الخارجي للدولة من خلال مسألتين:

المسألة الأولى: صعوبة التنظير في خصائص الشخصية لصانع القرار حول موقف دولي معين.

المسألة الثانية: إن القياس المناسب لمحددات شخصية صانع القرار هي مسألة صعبة في العلاقات الدولية.

في الواقع إن الحوار الثاني كان يقوم على أساس البحث عن طبيعة المعرفة العلمية وأفضل السبل للوصول إليها، فإذا كان المقترب العلمي(٥٢)*/ السلوكي(٥٣)*استنباطيا

(٤٩) * جدير بالذكر إنه على الرغم من إن المدرسة السلوكية قد بدأت على المستوى الفكري منذ بداية القرن العشرين إلا إن الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من آثار مثلت نقطة تحول أساسية أخرجت النموذج المعرفي التقليدي تماما من ساحة البحث الأكاديمي، وأتاحت الفرصة لهيمنة الاتجاه السلوكية على مختلف حقول العلوم الاجتماعية، إذ أصبح الباحثون في العلوم السياسية وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية منشغلين بأسباب انتشار الشيوعية وتطلب ذلك منهم العديد من الدراسات التي انفتحت على مفاهيم ومناهج مستمدة من علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس، وبدأ التركيز على الأبعاد السلوكية يزداد وانتقل التركيز على الأبعاد السلوكية إلى حقل العلاقات الدولية أيضا ، ينظر : د. نصر محمد عارف ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٥٠) د. خالد موسى المصري، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

(٥١) نقلا عن سعد حقي توفيق، العلاقات الدولية، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٧، ص ص ١٩٨-١٩٩.

(٥٢)* المدخل العلمي يفترض بأن المعرفة ممكنة من خلال البحث عن الانتظام في الأفعال والاستجابات المتكررة للسلوك السياسي، أما المدخل التقليدي يعتقدون أن العلاقات الدولية حقل لا يستجيب للدراسات العلمية، وذلك لان الأحداث فيها معقدة والحالات خاصة. ينظر،

Emmanuel Navon, The third debate revisited, Review international studies, 2001 ,27, p.614.

(٥٣)** إن السلوكية نموذج معرفي جديد من حيث المنهجية في علم السياسة والعلاقات الدولية، وهذا يفسر طبيعة العلاقة بين السلوكية والواقعية؛ لأنها انتقدت الواقعية من الوجهة المنهجية فقط ولم تتعرض لمنطلقاتها ومقولاتها الجوهرية بل قبلتها ضمنياً، ينظر، الحسان بوقنطار، د. عبد الوهاب معلمي، العلاقات الدولية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨، ص ٣٨.

بصورة عامة ويرتكز على تراكم المعطيات والمعلومات فأن المقترب التاريخي/ التقليدي هو في الأغلب استقرائي ويستند على البحث التاريخي، وعادة ما يتم إرجاع هذا الحوار إلى الجدل العلمي الذي دار بين ستانلي هوفمان، مورتن كابلان حول كيفية دراسة العلاقات الدولية منهجيا، إذ كان ستانلي هوفمان يؤكد على ضرورة الاعتماد على المنهج التاريخي للوصول إلى تعميمات (قوانين) علمية مبنية على تجارب تاريخية ، بينما أكد (كابلان)على ضرورة إتباع المنهج العلمي القائم على تراكم المعطيات والمعلومات لتطوير نظرية تفسيرية للعلاقات الدولية(٥٤). وقد انحصر هذا الجدل والنقاش تقريبا بين علماء المنظور الواقعي نفسه، ولكن باتجاهين مختلفين، الأول هم الواقعيون التقليديون الذين وجدوا بأنّ المحفز الأساس لسياسات القوة في العلاقات الدولية هو الطبيعة البشرية ، والاتجاه الآخر هم العلماء الذين تأثروا بـ (الوضعية الاجتماعية) كنظرية للمعرفة تقول بإمكانية تطبيق منهجية العلوم الطبيعية في دراسة العلاقات الدولية وينتمي إلى هذه الاتجاه علماء الواقعية الجديدة(٥٥).

إن هدف السلوكيين الوصول إلى صيغة علمية للعلوم السياسية تختلف عن الصيغة غير العلمية التقليدية، ومن هنا فأن النموذج السلوكي كان حصيلة التقاء عاملين(٥٦):

١-عدم الرضا عن المناهج التقليدية

٢-الإعجاب بالمنهج العلمي المستخدم في إطار العلوم البحتة.

إن اختيار السلوك كوحدة للتحليل في النموذج السلوكي يرجع إلى سببين(٥٧):

الأول: إن الإنسان في رؤيتهم مركز الكون ويرغب أن يكون سببا للأحداث التي تدور حوله.

الثاني: إن الإنسان يتفاعل مع آخرين مثله يوميا، لهذا فان السلوك بين الأمم لا يختلف كثيرا عن سلوكه.

ركز رواد المنهج السلوكي (العلمي) واغلبهم من الواقعيين الجدد في دراسة العلاقات الدولية على البحث عن الأسباب الهيكلية للصراع في العلاقات الدولية، فضلا عن تقديم البحوث التجريبية حول طبيعة سياسات القوة والتي تساعد على إمكانية التنبؤ بطبيعة سلوك الدول في إطار البيئة الفوضوية التي تتميز بها العلاقات الدولية والنظام الدولي هذا من جهة(٥٨)ومن جهة أخرى ركزت السلوكية على مستويات اقل من مستوى الدولة إي مستوى النظريات الجزئية وأيضا على مستوى فوق مستوى الدولة كمستوى النظام الدولي إي مستوى النظريات الكلية(٥٩).

وقد ساعد هذا الحوار على بناء الهوية العلمية للحقل من خلال القبول والاستخدام الواسعين للمناهج العلمية والتي ظهرت في إسهامات مجموعة من العلماء والتي ساعدت

(54) Emmanuel Navon,The third debate Revisited, Review of international studies ,vol.27, issue .4, British international studies association, 2001,p.614.

(٥٥) بيتر سيتش، جوانيتا الياس ، ص ١٠.

(٥٦) أحمد يوسف، د. محمد زيارة، مقدمة في العلاقات الدولية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥١.

(٥٧) سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، المكتبة القانونية، ط٤، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٩٩.

(٥٨) بيتر سيتش وجوانيتا إلياس، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

(٥٩) زايد عبيد الله مصباح، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

في مهمة تطوير نظرية تراكمية للسياسة الدولية(٦٠).

إن إسهامات النموذج السلوكي في مجال العلاقات الدولية اتضح عن طريق الاهتمام بالعمل على دراسات المناطق والاهتمام بالقضايا التي تعد أكثر حيوية للسياسة الخارجية، وبعد ذلك انتشرت الأدبيات السلوكية إلى المجالات الأخرى، ولاسيما توظيف مجموعة مفاهيم جاهزة لعلوم أخرى ارتبطت بالمنهج التجريبي لبناء نماذج تفسيرية في مجال العلاقات الدولية، مثل القوة، الوظيفية، الاتزان، النسق، الصراع، واتخاذ القرار وغيرها(٦١). إذ حاول السلوكيون الوصول إلى نظريات عامة وشاملة تفسر العلاقات الدولية مثل كابلان، سنغر، ودويتش، ولكن بعد تعذر تحقيق ذلك اتجهوا الى التركيز على بعض القضايا والمشكلات مثل الوظيفية والتكامل الإقليمي، نزع السلاح والسيطرة على التسلح، التحالفات، والعوامل البيئية والعلاقات بين الأفراد، ونجح بعضهم بالتوصل إلى نظريات جزئية مثل هارولد ومارجريت سبروت(تأثير العوامل الجغرافية، ارنست هاس (التكامل الإقليمي)، والسلوك التفاوضي لـ توماس سكيلين وغيرها(٦٢)

في إطار الحوار الثاني طورت منهجيات جديدة احتلت فيها النمذجة الرياضية للإجراءات الدولية مركز الصدارة، وسعى السلوكيون إلى أن يجري تقدم في مجال المعرفة يعقبه إمكانية التحكم في الظواهر الدولية القابلة للدراسة من خلال العمليات المركزة في تجميع البيانات والمعطيات، وبرزت طائفة من الباحثين والأكاديميين العلميين في تخصص العلاقات الدولية مثل ديفيد سنغر، ومورتن كابلان وعملت على وضع طرائق علمية ونظامية في مجال التحقيق العلمي لتخصص العلاقات الدولية، ورأى مؤيدوا النهج السلوكي أن تخصص العلاقات الدولية لا يمكنه المضي قدما إلا بقولبه نفسه في إطار نموذج للعلوم الطبيعية(٦٣).

إن الإحكام من خلال النقاشات المنهجية أخذت تدل بان علم العلاقات الدولية قد دخل مرحلة جديدة اخذ فيها الدارسون يسعون الى التنبوء بالأحداث المستقبلية رغم أن هناك من يعتقد بصعوبة التنبوء بالأحداث الدولية، فأن بإمكان الطرق الحديثة والنظريات أن تعمل على تطوير المهمات في إمكانية التنبوء بالمستقبل، فعندئذ سيكون بوسع الدارسين التوقع لاحتمالات مستقبلية حول مستقبل القوى الكبرى مثل مستقبل الصين كقوة صاعدة في العالم في العام (٦٤)٢٠٢٠.

ومن ثم فقد توصل السلوكيون إلى قناعة مفادها: بان المنهج التقليدي في العلاقات الدولية أصبح منهجاً قاصراً لا يواكب التطورات الحديثة التي أخذت بها حقول المعرفة الأخرى ويجب التخلي عنه(٦٥)، ومن هنا أخذت المدرسة السلوكية تؤكد على ان فلسفة

(٦٠) على سبيل المثال نظرية الأنظمة لـ(مورتن كبلان)، ونظرية الاتصالات لـ (كارل دويتش) ونظرية اللعبة لـ (توماس شيلينغ)،ونظرية صنع القرار، لـ (سنايدر)، ينظر:

Brian C. Schmidt , On The history and historiography of international relations, In Thomas rise and Beth Bimmons, handbook of international relations, London, 2002,p. 14.

(61) The Encyclopedia Britanica, vol.27,London, 1994, p. 357.

(٦٢) جيمس دورتي، وربرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

(٦٣) أحمد قاسم حسين، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢٥-١٢٦.

(٦٤) سعد حقي توفيق، مصدر سبق ذكره، ص ١٦١.

(٦٥) جوانيتا الياس وبيتر سيتش، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٥-٢٦.

العلم أصبحت تخصصا أكاديميا متطوراً، فضلا عن سيطرة رؤية واحدة ضمن فلسفة العلم، إذ أصبحت الوضعية في تخصص العلاقات الدولية بمنزلة مرادفة للعلم(٦٦).

الحوار الثالث : الواقعية الجديدة في مواجهة الليبرالية الجديدة :

إن النجاح الذي حققته النظرية في العلاقات الدولية بإتباع المناهج السلوكية هيأ بدوره للحوار الثالث بين الواقعية الجديدة في مواجهة الليبرالية الجديدة (المؤسساتية) التي أصبحت النموذج المهيمن في دراسة العلاقات الدولية، ولاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية خلال ثمانينيات القرن العشرين(٦٧) . ويرتبط جوهر الحوار بين الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة الذي بدأ في سبعينيات القرن العشرين بالسؤال عن ماذا ندرس ؟ وما هي مستويات التحليل التي يجب التركيز عليها في دراسة العلاقات الدولية ؟ وفي ضوء ذلك يرى: الواقعيون الجدد إن الدولة هي الفاعل المركزي وإن بنية النظام الدولي تحدد سلوك الدول، وإنّ الدول تتصرف وفقاً لقواعد يحددها توزيع القوى بين الدول العظمى، إذ أكد كينيث والتز مؤسس الواقعية الجديدة إن مستوى التحليل في دراسة العلاقات الدولية وتحديد سلوك الدول هو بنية النظام الدولي والتي تتسم بالفوضى الناجمة عن غياب التنظيم القانوني الذي تنهض به سلطة مركزية مخولة إي غياب نظام الحكومة العالمية(٦٨).

أما بالنسبة لليبرالية الجديدة فقد ركز أنصارها على دور المنظمات الدولية، والقوى الفاعلة من غير الدول في إدارة العلاقات الدولية، فضلا عن التركيز على مفهوم التعاون الدولي والمكاسب المطلقة التي تسعى الدول لتحقيقها، وقد ظهرت الليبرالية الجديدة في بادئ الأمر في دراسات روبرت كوهين و جوزيف ناي وعرفت بالاتجاه التعددي الليبرالي(٦٩). في ظل التطور الذي شهدته العلاقات الدولية والذي تجلى في تزايد التعاون الاقتصادي الدولي وتصاعد أهمية المتغير الاقتصادي في العلاقات الدولية وبروز دور الشركات المتعددة الجنسيات والظاهرة العابرة للحدود القومية ، إذ أدى ذلك إلى تزايد الاهتمام بقضايا الاقتصاد السياسي الدولي وبالظاهرة العابرة للحدود القومية، فظهرت نظريات جديدة طورت فرضياتها انطلاقا من التقاليد الليبرالية لتكون منافسا قويا للمنظور الواقعي، فضلا عن أن ذلك أدى إلى ظهور العديد من النظريات التي تستند إلى التقاليد الماركسية وأطروحتها بشأن الإمبريالية والرأسمالية وواقع اللامساواة في السياسة الدولية لتطور منها فرضيات لفهم وتفسير العلاقات الدولية، وهكذا شهد مجال العلاقات الدولية حوارا بين نماذج مختلفة (الواقعية والليبرالية والراديكالية) ، إذ سعى كل واحد من هذه النماذج الثلاثية إلى بناء المفاهيم والوحدات الأسئلة الخاصة به والتي تسهم في تقديم استبصارات بشأن العلاقات الدولية. وانتهى الحوار الثالث بين الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة والراديكالية إلى تشكيل تحالف بين الواقعيين والليبراليين على أساس نظرية

(٦٦) تيم دان وآخرون، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، مصدر سبق ذكره، ص ص ٧٨-٧٩.
(٦٧) بيتر سيتش وجوانيتا الياس ، مصدر سبق ذكره، ص ١١.
(٦٨) د. خالد موسى المصري، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣.
(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٤٣.

الاختيار العقلاني والتي تستند إلى ركيزتين أساسيتين(٧٠):

الأولى: محاولة تمثيل العمليات الأساسية بالاعتماد بشكل أساسي على المعادلات الرياضية، فضلا عن المنهجية الفردية التي تزعم إن كل الظواهر الاجتماعية مشتقة من خصائص وسلوك الإفراد.

الثانية:الافتراض بأن الفاعلين السياسيين يتصرفون بعقلانية منطلقة من المصلحة الذاتية.

ثم ظهرت الليبرالية المؤسساتية في ثمانينات القرن العشرين كاتجاه فكري معدل ترتبط أصوله بالاتجاه ألتعددي، وقد أصبحت الليبرالية المؤسساتية منافسا قويا لهيمنة المنظور الواقعي في دراسة العلاقات الدولية تقوم على دراسة الاعتماد المتبادل والأنظمة الدولية، وتقديم تحليل أدق للشروط التي يتم تعاون الدول من خلالها أي تقديم إجابة عن السؤال التالي: كيف يحدث التعاون بين الدول ذات السيادة، وكيف تؤثر المؤسسات الدولية فيها ؟(٧١)

إذ يعتقد منظروا الليبرالية المؤسساتية بأنها تقدم منهجا أو نموذجا يتم من خلاله تفسير السياسة الدولية في إطار تعددية الفواعل الدولية وتنامي التفاعلات والعلاقات العابرة للحدود القومية، وتعميق الاعتماد والترابط العالمي في وقت قللت فيه الواقعية الجديدة من أهمية العلاقات العابرة للحدود القومية ورفضت فيه إعطاء إي دور مؤثر و مستقل للفواعل من غير الدول في إدارة تفاعلات السياسة الدولية(٧٢).

وبذلك يمكن القول: إن الحوار الثالث يتلخص في المواجهة بين المنظور الواقعي الذي يؤكد على مركزية الدولة في النظام الدولي الفوضوي الذي تميل فيه الدول إلى الصراع أكثر من ميلها إلى التعاون، وبين المنظور الليبرالي الذي يؤكد على تعددية الأطراف الفاعلة في السياسة الدولية والتي أصبحت تمارس تأثيرا متزايدا، وعلى إمكانية التعاون الدولي ونمو المؤسسات الدولية في إطار بيئة النظام الدولي التي تميل إلى التنافس وتجد مبررات للتعاون وتحقيق المكاسب، وكل من هذين المنظورين يقدم مبرراته التي تؤطر تفسيره للعلاقات الدولية(٧٣).

وهكذا فإن الحوار بين الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة كما يتضح يرتبط بكيفية تفسير العلاقات الدولية وهو حوار يقع في إطار منهج علمي واحد مع اختلاف النتائج والتفسيرات والأولويات بين المنظورين(٧٤).

أذن تبرز أهمية إسهامات النقاش الثالث من خلال مخرجاته التي تمثلت في توجهين متناقضين تماما انطولوجيا وميتودولوجيا وابستومولوجيا، إذ نجد أن التأملية التي انبثقت عن الراديكالية (الماركسية)، والعقلانية كانت نتاجا لتحالف الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة، وهما شكلا ما يعرف بقطبي النقاش الرابع أو التعايش مابين الوضعية وما بعد الوضعية.

---

(٧٠) د. انور محمد فرج ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨.

(71) Robert O. Keohane, International Institutions: Can Interdependence Work , Foreign Policy ,No. 110 ,(Washington: Research Library ,Spring 1998,p.82.

(٧٢) بيتر سيتش وجوانيتا الياس، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

(٧٣) د. عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية: الحوارات الكبرى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٢١٥-٢١٦.

(٧٤) بيتر ستش ، جوانيتا إلياس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

المبحث الثالث
الحوارات النظرية في دراسة العلاقات الدولية
(النظريات ما بعد الوضعية)

الحوار الرابع : الوضعية وما بعد الوضعية :

منذ ثمانينيات القرن العشرين ظهر حوار على مستوى نظرية المعرفة (الابستومولوجيا) بين الوضعية وما بعد الوضعية يدور حول طبيعة وإمكانية المعرفة في العلاقات الدولية. وقد انعكس هذا الحوار على الأسس النظرية والمنهجية في العلوم الاجتماعية بصورة عامة والعلاقات الدولية على وجه الخصوص، وكان له نتائج مهمة في ما يرتبط بتحديد سبل الوصول إلى المعرفة .

فقد التزمت الحوارات الثلاثة السابقة بالوضعية كأساس معرفي. كما خضعت النقاشات بين المنظورات الواقعية والليبرالية والراديكالية لتأثيرات المنهج والافتراضات الوضعية كإطار ابستمولوجي، ولذلك فإن ستيف سميث يرى: بان هذه المنظورات ليست سوى نسخ مختلفة لعالم واحد بدلا من النظر إليها بوصفها وجهات نظر مختلفة للعلاقات الدولية(٧٥).

إن الوضعية ترتكز على مجموعة أسس ترتبط بافتراض أن هناك قوانين وإنتظامات (شبه قوانين) تحكم الظواهر الاجتماعية كما تحكم العالم الطبيعي، ويمكن الكشف عنها باستخدام النظريات التي ترتكز على الملاحظة والتجريب، بعبارة أخرى هناك تمييز بين الحقائق والقيم عند دراسة الظواهر الاجتماعية، وإن الارتكاز على الحقائق يجعل الباحث حياديا في الحكم على النظريات(٧٦).

في حين مثلت ما بعد الوضعية حركة فلسفية مضادة رفضت رفضا شاملا معظم المفاهيم والمبادئ الأساسية التي قامت عليها الفلسفة الوضعية، إذ حاولت تقديم توجهات نظرية ومنهجية وعلمية بديلة في مجال البحث الاجتماعي. فضلا عن معالجتها لمواضيع اجتماعية وسياسية لم تكن تحظى باهتمام الوضعية من قبل، ولعل من اظهر أسس ما بعد الوضعية كنظرية للمعرفة تؤطر المناهج العلمية هي رفضها وجود حقيقة مطلقة ونهائية للعالم. إذ لا يمكن أن يخضع لإنتظامات دورية وقوانين ثابتة، كما إن العالم ليس من طبيعة مادية بحتة، ومن ثم لا يمكن تصور وجود طريقة أو منهج واحد ووحيد لإدراكه ومعرفته كما يجادل الوضعيون. وهكذا فالفلسفة ما بعد الوضعية ترفض القول بوجود حقيقة كلية وشاملة عن العالم والوجود، وليس هناك معارف عامة، بل هناك تفسيرات مختلفة للعالم. وهذا يعني ويقتضي التشكيك في السرديات أو النظريات الكبرى التي يسوقها الوضعيون لتحليل وتفسير نشأة وتطور الظواهر الاجتماعية ، فالمعرفة بحسب رأي أنصار ما بعد الوضعية هي رهينة السياق التاريخي والاجتماعي فكل فهم للحقيقة لا

(75) Steven Smith, Positivism And Beyond, In : Steven Smith, Ken Booth And Maraysia Zalewski (Eds.), Op.Cit, p.11 .

(٧٦) د. خالد موسى المصري، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١.

يكون إلاّ بدلالة التاريخ والثقافة(٧٧).

ومن ناحية أخرى، شكك ما بعد الوضعيين في فكرة الموضوعية إي الوجود المستقل للعالم الخارجي، أو الحياد القيمي ورفضوا رفضا مطلقا فصل الحقائق عن القيم أو حصر العلم في الواقع التجريبي(٧٨). و يقدم ما بعد الوضعيون أسباب رفضهم لفكرة الموضوعية مستندين إلى أساسين الأول هو: عدم إمكانية الفصل التام بين الحقائق والقيم في مجال العلوم الاجتماعية ،فمعظم المفاهيم المستخدمة في العلوم الاجتماعية تعكس الجانبين معا في الوقت نفسه، والأساس الآخر هو : إن العلم لا يمارس في فراغ ثقافي واجتماعي ومن ثم ليس بمنأى عن تجاذبات ومصالح مختلف القوى والنخب السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية(٧٩).

وعليه يعارض ما بعد الوضعيون (الأحادية الابستمولوجية) إي وحدة المنهج العلمي بين العلوم الطبيعية والاجتماعية التي تبناها الوضعيون، وبدلا من ذلك، يرى الوضعيون بان مجال العلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية مختلف ومن ثم فإنهما يقتضيان توجهات منهجية مختلفة ، كما تدعو ما بعد الوضعية إلى تعددية المناهج لاعتقادها بأنه لا يوجد منهج علمي واحد يتصف بالكمال والصحة(٨٠).

وكان للجدل ما بين الوضعية وما بعد الوضعية نتائج على صعيد المناهج و النظريات وأهدافها في دراسة العلاقات الدولية، ومن ثم اختلاف الرؤية للعالم .

فقد ترتب على ظهور ما بعد الوضعية كإطار معرفي لدراسة العلوم ابستمولوجيا بعد الحرب الباردة كما يرى (ستيفن سميث) حصول مواجهة بين التنظير التقليدي في مجال العلاقات الدولية الذي كان يركز على التفسير والبحث عن الأسباب لإيجاد التعميمات وبين التنظيرات في إطار ما بعد الوضعية التي تؤكد على التكوين والتأمل(٨١).

وبذلك فقد تركز الجدل الفكري في العلاقات الدولية بين المنظورات والنظريات المرتكزة على أسس النموذج أو الفلسفة الوضعية مثل الواقعية والواقعية الجديدة والليبرالية والليبرالية المؤسساتية والنظريات العالمية من جهة، وبين المنظورات والنظريات التي بنيت على أسس ما بعد الوضعية مثل البنائية ونظرية ما بعد الحداثة و النظرية النقدية والنظرية النسوية من جهة أخرى. إذ يعتقد أتباع المنظورات الوضعية إنه يمكن دراسة العلاقات الدولية دراسة عملية؛ لأن هناك قوانين أو شبه قوانين تحكم الظاهرة في العلاقات الدولية. كما إنّه بالإمكان الفصل بين الذات والموضوع(٨٢).

بينما يرفض أتباع الاتجاهات النظرية الجديدة والمنتمية لنموذج ما بعد الوضعية/ افتراضات المنظورات الوضعية، وأكدوا على إنّه من الصعب فصل الذات عن الموضوع،

---

(٧٧) محمد الطاهر عديلة ، تطور الحق النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والأسس، أطروحة دكتوراه،(غير منشورة) كلية الحقوق، العلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٤-٢٠١٥ ، ص ص ١٢٨-١٢٩.

(٧٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٩.

(٧٩) نفسه ، ص ١٢٩، كذلك ينظر : د. محمد نصر عارف ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٥٣-٥٤.

(٨٠) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

(81) Steven Smith, Positivism And Beyond, Op.Cit,p.35 .

(٨٢) د.. خالد موسى المصري، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤٣- ٤٤.

وإنّه لا يوجد تكرار أو نمطية في سلوك الدول[٨٣]، إلى جانب ذلك فقد كان لما بعد الوضعية أثرا آخرا على دراسة العلاقات الدولية يرتبط بتزايد تركيز واهتمام النظريات الجديدة بدور الثقافة والأفكار والقيم والمعايير في مجال العلاقات الدولية[٨٤].

ولقد ترك الاختلاف في نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) ما بين الوضعية وما بعد الوضعية أثره في تعريف وتحديد وظيفة النظرية في العلاقات الدولية. إذ يدور الحوار أيضا حول وظيفة التنظير في العلاقات الدولية بين النظرية التفسيرية (العقلانية)، وبين النظرية التأويلية. فالخلفية الابستمولوجية للنظرية التفسيرية إي الفلسفة الوضعية ترى بأنّ واقع العلاقات الدولية هو واقع موضوعي تحكمه قوانينه على غرار القوانين التي تحكم الفيزياء يمكن إدراكه عقليا. في حين أن النظرية التأويلية والتي ترتكز على الخلفية الابستمولوجية ما بعد الوضعية ترى بأنه من غير الممكن دراسة السلوك الإنساني بطريقة علمية كما في العلوم التجريبية الأخرى؛ لأن السلوك الإنساني يرتبط بالمعاني التي يعطيها الأفراد لسلوكياتهم، والحياة الاجتماعية بمثابة مجموعة من المعاني والرموز تحتاج إلى تفكيكها وتأويلها ولذا فمن الصعب الفصل بين الذات والموضوع في دراسة العلوم الاجتماعية[٨٥].

كما أنتقد ما بعد الوضعيون منهج النظريات الوضعية القائم على أساس افتراض إنها نظريات شارحة (تفسيرية)، ونظريات هدفها الحفاظ على الأمر الواقع وغير قادرة على التغيير، بينما يصف أتباع النظريات الجديدة (ما بعد الوضعية) نظرياتهم بأنها بنائية (تكوينية) وقادرة على التغيير وتحرير الإنسان، وفي ضوء ذلك، فإنّ النظريات ما بعد الوضعية أصبحت توصف بأنها نظريات نقدية، تدعو إلى عدم قبول المنظورات المعرفية السائدة كحقائق دون تمحيص ودراسة هذه المنظورات وتتبع تطورها الزمني[٨٦].

والنظريات التكوينية تبنى على أساس إن مهمة النظرية في العلاقات الدولية هي تحليل الأشكال المختلفة في النظر إلى السياسة العالمية، والتأكيد على إن هذه الأشكال المختلفة للمعرفة لا تعكس العالم ببساطة كالمرآة لكنها تساعد في تشكيله، فكل دارس للعلاقات الدولية يتمتع بلغة ذات خصوصية معينة ومعتقدات ثقافية وتصورات مسبقة وخبرات حياتية تؤثر على فهمه لموضوع الدراسة[٨٧]. وتذهب النظريات التكوينية إلى إن المنهج العلمي الذي يدعي الموضوعية الحيادية إي إنكار تأثير الذاتية والقيم هو غير واقعي وغير ممكن. فالباحث لا يمكنه أن يبعد عن ذاته في التحليل، كما إن الأفكار و المواقف و الأحكام المسبقة تؤثر لا محال على النتائج التي يتوصل إليها الباحث، وهكذا فإنه من الممكن فهم العالم وتأويله من داخل أطر ثقافية ولغوية معينة، وتُعد

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ٤٤.

(٨٤) د. انور محمد فرج ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٧-٨ .

(٨٥) د. عبد العالي عبد القادر ، محاضرات نظريات العلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠٠٩ ص ٨ ، كذلك:

Fred Chernoff, Theory And Metatheory In International Relations: Concept And Contending Account,(New York: Palgrave Macmillan, 2007), pp6-5-.

(٨٦) د. خالد موسى المصري، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤.

(87) Scott Burchill and Andrew Linklater ,Op.Cit,p.18.

تلك هي العدسات التي ندرك العالم من خلالها، ومن ثم تصبح احد الأهداف الرئيسة لدراسة النظرية هو تمكيننا من اختبار تلك العدسات في انعكاسها على تكوين رؤيتنا للعالم(٨٨). وعليه فإنّ النظرية التأسيسية قد ترادف أحيانا مع استخدام النظرية بمعاني النموذج والإطار التحليلي، ومن ثم يكون المقصود من النظرية ضمن هذا الاستخدام هو مجموعة من المسلمات والإفتراضات الأساسية التي تحدد طريقة إدراك ورؤية ودراسة العلاقات الدولية(٨٩).

وفي ضوء ذلك، يتحدد غرض النظرية في العلاقات الدولية بالفهم أو التأويل بدلاً من التفسير وإذا ما كان التفسير يعني معرفة الأسباب فإن الفهم الذي هو بحث في مغزى الأفعال والنشاطات وهو أساسا شكل غير سببي للبحث، فالفهم عملية معرفية غرضها استيعاب المحتويات العقلية الكامنة في اللغة والثقافة ومعرفة الأسباب التي تقف وراء النشاطات من دون أن يكون الغرض من معرفتها إصدار التعميمات النظرية، فالفهم لا يستهدف وضع القوانين المفسرة للظواهر الاجتماعية؛ لأنه لا يرى في العالم الاجتماعي الثبات والانتظام أصلا على العكس من العالم الطبيعي(٩٠).

بينما يعنى التفسير بمحاولة اكتشاف العلاقات السببية التي تقوم بين الظواهر المختلفة باستخدام منهج يقوم على المراوحة بين الاستدلال العقلي والاستقراء العلمي للظواهر، وهو خطوة في اتجاه التعميم إي بناء النظرية العلمية، كما يعد التفسير الوظيفة الأبرز للنظرية العلمية اذ اعتبرت العديد من التعريفات بان التفسير شرطا لقيام النظرية العلمية(٩١).

ويرجع فلاسفة العلم التمييز بين التفسير والفهم إلى الاختلاف بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، بوصفهما متمايزين منهجيا، فمع أن كلا الفرعين يهتمان بالوقائع، إلاّ إن الوقائع في العلوم الاجتماعية تختلف عن الوقائع في العلوم الطبيعية، فالواقعة بالمعنى المستخدم في العلوم الاجتماعية واقعة ينتجها موجود إنساني يصدر عنه أحكام أخلاقية وله معايير وأهداف ومشاعر وقيم وليس للوقائع الطبيعية ذلك، ووقائع العلوم الطبيعية محسوسة وملموسة لها وجود ماثل أمام حواسنا(٩٢). وبذلك فإن العلوم الطبيعية تعالج الوقائع التي تخضع للإدراك الحسي. بينما تعالج العلوم الاجتماعية المعاني، وعليه فالفكر في الأولى يتخذ صورة التفسير الذي يعتمد على العلاقات السببية والقوانين ويقترب موضوعه من الخارج، بينما يتخذ الفكر في الثانية صورة الفهم و يسعى الفهم إلى أن يربط المعنى بالمعنى ويدرك موضوعه عن طريق الحدس(٩٣). وهكذا فإن التمييز بين التفسير

---

(88) Ibid,p.17.

(٨٩) د. عبد العالي عبد القادر، مصدر سبق ذكره ، ص ٧.

(٩٠) محمد الطاهر عديلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٩، كذلك ينظر : د. علي عبد المعطي محمد ، البحث عن منهج للعلوم الإنسانية ، في : د. احمد أنور أبو النور (وآخرون) ، قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج ،(القاهرة :وزارة الثقافة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٦)، ص ص ٢١-٢٢.

(٩١) محمد الطاهر عديلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٠، كذلك حول هذه التعريفات ينظر :

Scott Burchill and Andrew Linklater, Op.Cit, p.11.

(٩٢) د. علي عبد المعطي محمد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١.

(٩٣) محمد الطاهر عديلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٩.

والفهم في نظرية العلاقات الدولية يرتبط بالحوار الابستمولوجي بين الوضعية وما بعد الوضعية، حيث تستهدف النظريات المرتكزة على الفلسفة الوضعية التفسير، لافتراضها أن العالم الاجتماعي لا يختلف عن العالم الطبيعي تحكمه القوانين ومهمة النظرية هي الكشف عنها، بينما تستهدف النظريات المرتكزة على الفلسفة ما بعد الوضعية الفهم أو التأويل لافتراضها إن الظواهر الاجتماعية ليست أشياء والمجتمع ليس كائنا طبيعيا، بل هو نتاج التفاعل الإنساني. وعليه تتمثل مهمة العلوم الاجتماعية في فهم ودلالات الرموز الاجتماعية المنتجة من قبل الإنسان وليس تفسير وقائع اجتماعية خارجية، لذا فإن الموضوعية ونبذ الذاتية أمرا مستحيلا منهجيا ووهما انطولوجيا؛ لأن العلاقات الاجتماعية والأدوار والقيم والمعايير والسلوك كلها أبنية صاغها الوعي الإنساني وتنتمي إلى نظام رمزي(٩٤). وفي الحقيقة إن النظريات الوضعية تواجه بانتقادات بسبب وصفها بأنها نظريات لحل المشاكل، نظريات شارحة/ تفسيرية، ونظريات الوضع الراهن أو الحتمية أي أنها لا تحاول تغيير الواقع وتؤمن بحتمية أثر البناء (الهيكل) على الفاعل، بالمقابل تطرح النظريات الجديدة (ما بعد الوضعية) نفسها على أنها نظريات بناءة (تأسيسية) هدفها هو تغيير الواقع وتحرير الإنسان(٩٥).

هناك ثلاثة إسهامات أو افتراضات تجعل من البنائية شكلا متميزا من التنظير في مجال العلاقات الدولية وذلك من خلال:

١. تنظر البنائية للسياسة العالمية على أنها محكومة وموجهة بواسطة مجموعة من القيم والمعايير والأفكار المشتركة بين مختلف الفاعلين، فالبنائيون بتركيزهم على البعد البيني ذاتي للمعرفة فأنهم يشددون على تأكيد الطابع الاجتماعي للوجود الإنساني والدور الذي تلعبه الأفكار المشتركة كبنية مثالية تقيد وتشكل السلوك(٩٦).
٢. تؤكد البنائية على إن البنية المثالية لها تأثير على سلوك ونشاط الفواعل يتجاوز مسالة الضبط إلى التشكيل والتكوين، فالبنى تقود الفواعل إلى إعادة تعريف وتحديد مصالحها وهوياتها من التفاعل المستمر على عكس ما تقول به كل من الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة من إن المصلحة والهويات ثابتة ولأجل عزل وإبراز الأدوار السببية لكل من القوة والمؤسسات الدولية.
٣. تزعم البنائية إن البنى المثالية والفواعل يحدد ويشكل كل منهما الأخر، فالبنى تشكل الفواعل في ضوء مصالحها وهوياتها. وفي المقابل يتم أعادة إنتاج البنى من خلال الممارسات الخطابية للفواعل وهذا يعني إن الفواعل يستطيعون تغيير البنى من خلال الإرادة الاجتماعية(٩٧).

كما إن من إسهامات البنائية الاجتماعية بالنسبة للتنظير للعلاقات الدولية يتمثل

(٩٤) محمد الطاهر عديلة ، مصدر سبق ذكره، ص ص١٤٢– ١٤٣.
(٩٥) د.خالد موسى المصري، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٦٥–١٦٨.
(96) Dale C.Copeland, The constructivist challenge to structural realism: AReview essay, International security, vol. 25, No. 2000 ,2, p. 189.
(97) Dale C. Copeland, op.cit, p. 190

في محاولة إيجاد حل لإشكالية العلاقة بين الفاعل والبنية، إذ تقترح حلا وسطا لا يقصي أيا منهما كما فعلت الواقعية الجديدة مثلا عندما تبنت تحليلاً بنيويا خالصا، فالبنائيون يعتقدون إن كلا من الفاعل والبنية يشكل أحداهما الأخر في إطار عملية مستمرة ولانهائية ومن ثم التحليل الجيد يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار هذا الاتصال العضوي والوظيفي بينهما(٩٨).

وهكذا فإن الحوار والانقسام بين النظريات العقلانية التفسيرية كالواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة وبين النظريات التأملية كالنظرية البنائية والنقدية وما بعد الحداثة في العلاقات الدولية والذي برز بعد الحرب الباردة يرجع في أصوله إلى النقاش الحاصل بين الوضعيين وما بعد الوضعيين في فلسفة العلوم الاجتماعية بصورة عامة. وفي ضوء ما تقدم يبدو إن من بين أهم نتائج الحوار الرابع هو خروج نظريات العلاقات الدولية من التقييد الصارم الذي كانت تفرضه الفلسفة الوضعية عن طريق جعل وظيفة النظرية هي التفسير واكتشاف القوانين، واستبعاد تأثير القيم والمعايير والأفكار في دراسة العلاقات الدولية، وظهور النظريات الجديدة التأملية والتكوينية التي وسعت من فهم العلاقات الدولية وكيفية إدارة انساق تفاعلات النظام الدولي.

الحوار الخامس: المقاربات اللاخطية في مقابل المقاربات الخطية:(البراديغم الوضعي مقابل الباراديغم ما بعد الوضعي):

لقد أصبح مصطلح التعقد جزءا لا يتجزأ من الخطاب المعرفي في مجال العلاقات الدولية، وهو ما تعكسه العديد من المفاهيم، كمفهوم الاعتماد المتبادل المعقد لدى جوزيف ناي، التعلم المعقد لدى الكسندر وندت، والأمن المعقد لدى كان بوث، والتنشئة الاجتماعية المعقدة لدى ترين فلوكهارت وغيرها، إذ كلما تراجعت قابلية المستقبل للتوقع زادت الحاجة إلى مزيد من الاستبصارات للتقليل من حدة الغموض الذي يكتنفه. عليه لا يوجد هناك اتفاق حول ما إذا كان هذا التوجه النظري لمقاربة العلاقات الدولية من منظور التعقد يعبر عن تحول في البراديغم على نحو ما يذهب إليه كل من لينا هيلكومايز، وماثيوز ألبرت أم إن الأمر لا يعدو أن يكون محاولات متفرقة ومحدودة من حيث التأثير المعرفي لتجاوز الحدود الفاصلة بين تخصص العلاقات الدولية وتخصصات معرفية أخرى(٩٩).

تتمثل القيمة المضافة لنظرية التعقد في التحفيز على البدء في التفكير حول انساق تفاعلات السياسة الدولية بوصفها نظاما معقداً من عدة أنظمة معقدة. فضلا عن إن هذه النظرية تتصور السياسة العالمية كنظام معقد، ولكن هذا لا يعني أنها تفترض الغياب المطلق للانتظام لكنها تفترض أن الأنماط الخطية (النظام)، واللاخطية (التعقد) والعشوائية (اللانظام) للتفاعلات العالمية يمكن أن تتعايش وتتزامن بعضها مع البعض الأخر(١٠٠).

---

(٩٨) عمار حجار، السياسة المتوسطية الجديدة للاتحاد الأوربي: إستراتيجية جديدة لاحتواء جهوي شامل، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ٤١.

(99) Joseph Nye, understanding international conflict, harper Collins, 1993, p. 43.)

(100) Emilian Kavalski, The fifth debate and the emergence of complex international relations theory, Notes on the Application of complexity theory to the study of international life, Cambridge Review of international Affairs, vol. 2007 ,20, p. 443.

إن نظرية التعقد في إطار السياسة العالمية تهدف من اجل إعادة بناء المجال المعرفي والتحول نحو حوار خامس يخفف من حدة الاستقطاب البراديغم السائد ويسهم في إعادة نقل اهتمام الباحثين من البرايغمات المشاركة في الحوار إلى الإشكاليات الملحة التي يدور حولها الحوارات النظرية في أطار العلاقات الدولية، إذ إن الميزة الأساسية للحوار الخامس تتمثل في الانتقال من التركيز على أطراف الحوار إلى التركيز على الإشكاليات الرئيسة الملحة التي يتمحور حولها الحوار النظري؛ لان تجربة الحوارات النظرية السابقة أثبتت إن التركيز على الأطراف غالبا ما ينتهي إلى نيسان المقاربات النظرية غير المهيمنة والمنظرين الذين لا يصنفون ضمن قوائم الشخصيات المعرفية الأكثر تأثيرا في مجال العلاقات الدولية. لعل أهم مبررات التحول من الحوار الرابع الى الحوار الخامس في العلاقات الدولية[١٠١]:

١. الحوار الرابع أصبح غير قادر على استيعاب التحولات المعرفية التي بدأ مجال العلاقات الدولية تعرفها مع مطلع الألفية الجديدة سواء تعلق الأمر بفشل وعود البنائية في تجسير الفجوة مابين العقلانية والتأملية الذي شكلت الابستومولوجيا مصدراً أساسيا للانقسام بينهما.
٢. دعوات لإقحام نظرية التعقد في دراسة العلاقات الدولية بما تتيحه من مفاهيم وأدوات تحليلية من شأنها أن تحسن من فرص التعامل مع التعقيد المتزايد في إطار السياسة الدولية.
٣. تمركز البنائية في إطار ما يسمى بالمنطقة الوسطى مابين العقلانية والتأملية بدلا من التموضع في إطار الحوارات السابقة، لاسيما إن البنائية فشلت في التوفيق مابين منظورين غير قابلين للمقايسة.
٤. إن الحوار الرابع غير قادر على استيعاب التحولات المعرفية في أطار العلاقات الدولية في ظل الزخم الذي بدأت تكتسبه أدبيات علم التعقد في مجال العلاقات الدولية، مما أدى إلى بروز مجموعة من التشكيكيين حول مدى جدية مائة عام من النظريات والحوارات في إطار العلاقات الدولية.

أما الافتراضات التي استندت عليها نظرية التعقد في مجال العلاقات الدولية تمثلت بالعناصر الأساسية الآتية:

١. اللاحتمية واللايقين: إن خاصية اللاحتمية واللايقين المتلازمتين للنظام الدولي تجعل من الصعوبة بمكان استدراك التنبوء على المدى الطويل. ففي ظل الأنظمة المعقدة تتفاعل العديد من الفواعل التي تتزايد مع مرور الزمن احتمالات تأثيرها على سلوكيات النظام، إذ يكون التنبوء بالمسار المستقبلي لفاعل معين أو لمجموعة من الفواعل أو البنية السياسية للنظام أمراً غير متاح على الإطلاق، ولكن هذا لا ينفي أن بعض التقديرات العامة والمحدودة على السلم الزمني حول احتمالات ما يمكن أن يؤول إليه المستقبل والتي يمكن الاستدلال عليها من خلال دراسة التاريخ السلوكي للنظام تبقى ممكنة وفي

(101) Milja Kurki, Critical Realism and Causal analysis in international relations: causes all the way down, 2007,pp. 37-35

الوقت نفسه محدودة وغير دقيقة وحتمية، لاسيما في حالة النظام العالمي الذي تتفاعل في إطاره العديد من الفواعل على نحو غير قابل للتعيين(١٠٢).

٢. عدم قابلية التفكيك: تفترض نظرية التعقيد إن النظام العالمي يبرز لنا كنظام معقد غير قابل للتفكيك إلى مكوناته الأساسية، وتظهر هذه الخاصية من خلال المدى المتقدم من الترابط والاعتمادية المتبادلة المكثفة والمعقدة للفواعل والتفاعلات على مستوى النظام العالمي. لذلك فان إي تركيز على فاعل محدد أو مجموعة محددة من الفواعل أو مستوى معين أو مجموعة معينة من المستويات التحليلية من شانه أن يؤدي إلى رسم صورة جزئية ومعقدة لخصوصية النظام العالمي، نظراً لسرعة حركية الظواهر العالمية وتعقدها(١٠٣).

٣. اللاخطية: أن وجود علاقات مستقرة بين فواعل النظام الدولي أمراً ممكناً، ولكن هذا الاستقرار غالبا ما يتسم بأنه قصير المدى و ضعيف وغير خطي، بسبب تزايد اتجاهات النظام واستمراره في الابتعاد عن التوازن، وهنا نجد إن نمط العلاقات المتاح أمام الفواعل هو نمط العلاقات قصيرة المدى التي تتسم بمسارات لا خطية(١٠٤). فالمناظرات الحالية حول النظام الدولي لم تتفق على تحديد الوجهة التي نحن ماضون إليها من هذه الناحية: إلى نظام غربي معدل أم إلى مزيد من التأزم والاضطراب(١٠٥).

كما ان وصف كل منظور من المنظورات الفكرية المتنافسة نظاما دوليا ما. فمفهوم النظام الدولي بالنسبة للواقعيون والثوريين حيوي لتحليلاتهم. في حين بالنسبة لليبراليين اقل دقة كإلية تفسير واقل أهمية. أما بالنسبة للبنائيين فمفهوم نظام دولي ما مرتبط بفكرة التغيير(١٠٦). يبدو إن هذه الحوارات والمناظرات الفكرية تُعد العلاقات الدولية علماً متطوراً ومتجدداً، وان الباب لم يغلق أمام مناظرات أخرى، وهذا ما يؤكد على دينامية هذا الحقل المعرفي وقابليته للتطور المستمر، ويعكس أيضا قوة الشعور والرغبة لدى المنظرين والمختصين في العمل على أن تتوافر للحقل كل شروط أنتاج المعرفة العلمية بشكل لا يختلف عن العلوم الأخرى(١٠٧).

---

(102) Dylan Kissane, Beyond anarchy: The complex and chaotic dynamics of international politics, Germany. 2011, pp. 229-228.

(١٠٣) محمد حمشي، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية: نحو إقحام نظرية التعقد داخل الحقل، أطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٧، ص ٢٥٠.

(104) Dyllan Kissane, op.cit, p. 229-228.

(١٠٥) يورغ سورسن، اعادة النظر في النظام الدولي الجديد، سلسلة عالم المعرفة، العدد(٤٨٠)، ترجمة:(أسامة الغراوي، يناير ٢٠٢٠

(١٠٦) كارين .أ. منغست– ايفان .م. اريغون–تفت، مبادى العلاقات الدولية، ترجمة:(حسام الدين خضور، دار الفرقد للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٣، ص ١٤٥.

(١٠٧) يوسف محمد الصواني، نظريات في العلاقات الدولية، ط١، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٣، ص ٩٥.

جدول يوضح مقارنة مابين الحوارات النظرية في اطار النظريات المعاصرة

الحقبة التاريخية	الأطراف	موضوع النقاش	مظاهر التجديد
عشرينات وثلاثينات القرن العشرين	الواقعية ضد المثالية	المؤسسات ضد المصالح	نظام الدول في مقابل مجتمع الدول
خمسينات وستينات القرن العشرين	السلوكية العلمية ضد التقليدية	العلم ضد التاريخ	التفسير السلوكي
ثمانينات القرن العشرين	مابعد الوضعية ضد الوضعية	الابستمولوجيا: الوضعية ضد ما بعد الوضعية النظرية النقدية	التفسير السلوكي في مقابل الفهم
تسعينيات القرن العشرين	البنائية ضد العقلانية ضد المقاربات التأملية	الانطولوجيا: العوامل الاجتماعية ضد القدرات المادية	التفسير السببي في مقابل التفسير التكويني او الفهم
منذ مطلع القرن الحادي والعشرين	المقاربات اللاخطية ضد المقاربات الخطية	الابستمولوجيا والانطولوجيا رفض في مقابل القبول بوجود منعطف بيولوجي وتأملي في التفسير او الفهم	الارتباط المتبادل في مقابل الانفصال بين الانساق الانسانية وغير الانسانية

الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد: سعد حقي توفيق، مصدر سبق ذكره، ص١٥٩-١٦٥، وكذلك عامر مصباح ، نظرية العلاقات الدولية: الحوارات الكبرى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨ ، ص ص ٢١٥-٢١٧ محمد حمشي، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية: نحو إقحام نظرية التعقد داخل الحقل، أطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٧، ص ٢٥٠.

الخاتمة

إن دراسة العلاقات الدولية تأثرت بشكل كبير في الواقع الدولي المتغير من جهة، وتطور نظرية المعرفة المؤثرة بشكل كبير في طبيعة البحث العلمي، وكيفية الوصول إلى المعرفة العلمية وتحديد دور ووظيفة النظرية في حقل العلاقات الدولية من جهة أخرى. كما إن طبيعة الدراسة العلمية للظاهرة الدولية كانت قد اقترنت بمحاولة العلوم الاجتماعية بصورة عامة اللحاق بما تحقق من تطور في العلوم الصرفة، وهو ما دفع العلماء وفلاسفة العلم على التأكيد على الأخذ بالوضعية المنطقية كنظرية للمعرفة. وفي ضوء ذلك فقد اعتمدت العلاقات الدولية كحقل أكاديمي على مناهج التجريب والتحليل الإحصائي والرياضي، ومع ذلك فقد ظلت النظرية في العلاقات الدولية تعاني من نقص في التفسير، كما إن هذه المناهج أدت إلى استبعاد القضايا الأخلاقية والمعيارية عن دراسة العلاقات الدولية، على الرغم من إنّها وثيقة الصلة بالعالم الاجتماعي وإن كانت عصية على التجريب والاختبار هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى إن دراسة العلاقات الدولية تمر بمرحلة هدأت فيها السجالات النظرية بين المدارس والمنظورات إلا إن هذا الهدوء ليس مرده الوصول إلى (العلم العادي) وإنما يعود بدرجة كبير إلى إن المعطيات التي تتشكل منها الظواهر الدولية بدأت تتغير ولم يعد بالإمكان ملاحقة هذه التغييرات بالأسس نفسها المعرفية السابقة (الوضعية) التي تبنى عليها النظريات وتتفق عليها المنظورات السابقة باستثناء المثالية. فهناك حاجة إلى إطار معرفي جديد يتناسب مع التحولات العالمية الجديدة، ويتلاءم مع تصاعد ما بعد الوضعية كنظرية للمعرفة (ابستمولوجيا) باتت تؤثر على المناهج العلمية في العلوم الطبيعية والاجتماعية. وعليه يمكننا القول بان المرحلة الراهنة التي يمر بها حقل العلاقات الدولية ليست مرحلة (العلم العادي)، بل على العكس هي مرحلة الأزمة التي تشكل بداية للثورات العلمية، إذ أصبح من الواضح بان المنظورات التقليدية أصبحت تواجه انتقادات وتحديات كبيرة من قبل نظريات ما بعد السيادة وما بعد الدولة.

وقد توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات الاتية:

١. ان الواقعية كانت ترفض فكرة المثالية في قدرتها على إيجاد مؤسسات للتعاون الدولي وتحقيق النظام الدولي، بعبارة أخرى ترفض وجود مؤسسات للحكم على المستوى الدولي، وبدلا من ذلك ظلت تعتمد على نظريات القوة والهيمنة كأساس للتحكم في تفاعلات السياسة الدولية وإدارة النظام الدولي.
٢. إن المساهمة الأكثر ديمومة للمثاليين في تطوير حقل العلاقات الدولية كانت فكرة التخصص الأكاديمي الذي انشأ دراسة السياسة الدولية، إذ رأى المثاليون إن الجهل وعدم التفاهم كان مصدرين أساسيين للصراع الدولي.
٣. السلوكيون يركزون من خلال حواراتهم النظرية للوصول إلى قناعة مفادها: بان المنهج التقليدي في العلاقات الدولية أصبح منهجاً قاصراً لا يواكب التطورات الحديثة التي أخذت بها حقول المعرفة الأخرى ويجب التخلي عنه،

ومن هنا أخذت المدرسة السلوكية تؤكد على إن فلسفة العلم أصبحت تخصصا أكاديميا متطوراً، فضلا عن سيطرة رؤية واحدة ضمن فلسفة العلم، إذ أصبحت الوضعية في تخصص العلاقات الدولية بمنزلة مرادفة للعلم.

٤. إن الحوار الثاني يقوم على أساس البحث عن طبيعة المعرفة العلمية وأفضل السبل للوصول إليها، فإذا كان المقترب العلمي/ السلوكي استنباطيا بصورة عامة ويرتكز على تراكم المعطيات والمعلومات فأن المقترب التاريخي/ التقليدي هو في الأغلب استقرائي ويستند على البحث التاريخي.

٥. لقد ساعد هذا الحوار النظري الثاني على بناء الهوية العلمية للحقل من خلال القبول والاستخدام الواسعين للمناهج العلمية والتي ظهرت في إسهامات مجموعة من العلماء والتي ساعدت في مهمة تطوير نظرية تراكمية للسياسة الدولية.

٦. إن الحوار الثالث يتلخص في المواجهة بين المنظور الواقعي الذي يؤكد على مركزية الدولة في النظام الدولي الفوضوي الذي تميل فيه الدول إلى الصراع أكثر من ميلها إلى التعاون، وبين المنظور الليبرالي الذي يؤكد على تعددية الأطراف الفاعلة في السياسة الدولية

٧. إن الحوار بين الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة يرتبط بكيفية تفسير العلاقات الدولية وهو حوار يقع في إطار منهج علمي واحد مع اختلاف النتائج والتفسيرات والأولويات بين المنظورين.

٨. يعتقد أتباع المنظورات الوضعية إنه يمكن دراسة العلاقات الدولية دراسة عملية؛ لأن هناك قوانين أو شبه قوانين تحكم الظاهرة في العلاقات الدولية. كما إنّه بالإمكان الفصل بين الذات والموضوع

٩. بينما يرفض أتباع الاتجاهات النظرية الجديدة والمنتمية لنموذج ما بعد الوضعية/ افتراضات المنظورات الوضعية، وأكدوا على إنّه من الصعب فصل الذات عن الموضوع، وإنّه لا يوجد تكرار أو نمطية في سلوك الدول.

١٠. إن من بين أهم نتائج الحوار الرابع هو خروج نظريات العلاقات الدولية من التقييد الصارم الذي كانت تفرضه الفلسفة الوضعية عن طريق جعل وظيفة النظرية هي التفسير واكتشاف القوانين، واستبعاد تأثير القيم والمعايير والأفكار في دراسة العلاقات الدولية، وظهور النظريات الجديدة التأملية والتكوينية التي وسعت من فهم العلاقات الدولية وكيفية إدارة انساق تفاعلات النظام الدولي.

١١. إن من إسهامات البنائية الاجتماعية بالنسبة للتنظير للعلاقات الدولية يتمثل في محاولة إيجاد حل لإشكالية العلاقة بين الفاعل والبنية، إذ تقترح حلا وسطا لا يقصي أيا منهما كما فعلت الواقعية الجديدة مثلا عندما تبنت تحليلاً بنيويا خالصا، فالبنائيون يعتقدون إن كلا من الفاعل والبنية يشكل أحداهما الأخر في إطار عملية مستمرة ولانهائية

١٢. إن الحوار الخامس يهدف الى الانتقال من التركيز على أطراف الحوار إلى

التركيز على الإشكاليات الرئيسة الملحة التي يتمحور حولها الحوار النظري؛ لان تجربة الحوارات النظرية السابقة أثبتت إن التركيز على الأطراف غالبا ما ينتهي إلى نيسان المقاربات النظرية غير المهيمنة والمنظرين الذين لا يصنفون ضمن قوائم الشخصيات المعرفية الأكثر تأثيرا في مجال العلاقات الدولية.

١٣. إن الإحكام من خلال النقاشات المنهجية أخذت تدل بان علم العلاقات الدولية قد دخل مرحلة جديدة اخذ فيها الدارسون يسعون الى التنبوء بالأحداث المستقبلية رغم أن هناك من يعتقد بصعوبة التنبوء بالأحداث الدولية، فأن بإمكان الطرق الحديثة والنظريات أن تعمل على تطوير المهمات في إمكانية التنبوء بالمستقبلي

١٤. يبدو إن هذه الحوارات والمناظرات الفكرية تُعد العلاقات الدولية علماً متطوراً ومتجدداً، وان الباب لم يغلق أمام مناظرات أخرى، وهذا ما يؤكد على دينامية هذا الحقل المعرفي وقابليته للتطور المستمر، ويعكس أيضا قوة الشعور والرغبة لدى المنظرين والمختصين في العمل على أن تتوافر للحقل كل شروط أنتاج المعرفة العلمية بشكل لا يختلف عن العلوم الأخرى